

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



العلوم الحديثة تدعو إلى الإيمان بالله

الأيمان والعلم الحديث

هوية الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ادارة المكتبة

الأيمان والعلم الحديث ..... ٦

## ما في الكتاب

هذا الكتاب: ينقل إلى القارئ أحدث الآراء الفكرية، وآخر النظريات العلمية الحديثة، والاكتشافات الفلكية الجديدة، لأعظم المفكرين، وأكبر العلماء المصريين، من ذوي الخبرة الواسعة، في أهم الأمور التي تهتم البشرية، والانسانية، في الحياة الدنيا، من وجوب التدين بالدين، مع بيان الفلسفة والحكمة، الحقيقتان للزوم ذلك.

ثم يعرض الأديان ويقارن بين كل منها، ويثبت خير الأديان النافعة لهذا الانسان، في مثل هذا العصر والزمان، ويبرهن على وجود الخالق، بأحدث الأدلة العلمية المبتكرة، ويثبت يوم المعاد، بالطرق العلمية الجديدة.

وفي هذا المؤلف يجد الانسان طريقه إلى الايمان الصحيح عن طريق العقل والعلم، لا عن طريق الشعور والتعاليم، ويجد التأييدات الكافية من علماء عظماء، اشتهروا في الآفاق بعلومهم، ومكانتهم العلمية السامية.

وهناك حقائق علمية عجيبة، تعرض بشكل دقيق، بحيث تؤدي بالضرورة إلى ايمان الانسان بوجود الله، واليوم الآخر، والتوحيد، وبابطال فكرة الاحاد واللاينية، وحقائق عن القرآن والرسول الكريم في الاسلام.

٨ ..... الأيمان والعلم الحديث

وإلى جانب كل هذا فهو مجموعة علمية تهدي إلى أقوم السبل للنجاح  
والفلاح، والسعادة الابدية الحقة.

فعلى الذين يروقههم الجمع بين التأمل والتفكير إلى الايمان والدين أو الذين  
يريدون أن يلموا بحقائق الأديان والايان، او الذين يشعرون في قلوبهم شكاً  
بالدين، والايان، أن يتصفحوا هذا الكتاب بدقة. فهو يلائم المتجددين  
والمحافظين، والشيوخ والشباب، والمرشدين والمسترشدين ليسندوا ايمانهم  
بالعلم وقوة اليقين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ  
الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ  
الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد/١٦].



## لا تنافي بين الدين والعلم

دين الاسلام دين الفطرة، بذلك يتوصل الانسان الى التوحيد، أي إلى لباب الاسلام وعصارتة بالفطرة، دون أن يحتاج إلى معلم ومرشد ان لم يدنس الفطرة بما يلوث النفس الانسانية من معاص، وآثام، وظلم، وبغي، ولؤم، ونفاق، وغيبة، ونميمة، وكل ما حرم الله تعالى على لسان أنبيائه، وتآباه الفطرة الانسانية غير المدسوسة منها، وليست الفطرة هي من معطيات العقل، كما ان العلم حديثه وقديمه من معطيات العقل ايضاً.

اذن وجب أن لا يكون تناف بين العلم الحديث والدين إذا كان هذا العلم الحديث قد بلغ من الصحة والتأييد ما يجعله علماً حقيقياً لا غبار عليه.

وقد خرج عن مرحلة الظن والشكوك، فالنظريات التي توضع لتفسير بعض الحوادث الفيزيائية، أو بعض المشاهدات في عالم الطبيعة ليست من العلم الحقيقي في شيء لذلك نراها تتغير من حين لآخر وتعديل، فالنظريات تعيش مدة من الزمن ما دامت مفسرة لجملة من الحوادث، فاذا ما شوهدت حادثة لا تتفق والنظرية الموضوعة عدل العالم الطبيعي إلى موضع نظرية أخرى تفسر الحوادث السابقة واللاحقة، وقد خلط بعض المتعلمين بين النظرية والعلم الصحيح الثابت الذي لا تبديل له ولا تتغير كالرياضيات البحتة، فقالوا ان هناك تنافياً بين

ما جاء في الدين ومعطيات العلم الحديث، فاتهموا الدين ووصوه بما هو منه براء.

ان الله تعالى يقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١).

فان الله عدّ الذين يحبون الليل بالعبادة، ساجدين راكعين يحذرون الآخرة ويرجون رحمة ربهم، وهم بين الخوف والرجاء، من العلماء وأولى الألباب، اذن ما هو ذلك العلم الذي يميز الانسان عن الجاهل ويجعله في عداد العلماء؟.

هو العلم بعظمة الله وجليل قدرته، هو ذلك العلم الذي يؤثر في النفس، فتؤثر في الجوارح، هو ذلك العلم الذي يحمل النفس على الأعمال الصالحة وكان ما من شأنه التطهير والتزكية، هو ذلك العلم الذي ينمى الفرد ويكلمه حتى يكون أعلى منزلة من الملائكة، فالعلم الحديث الذي لا يتجاوز سماء الأرض، ولا يبلغ بصاحبه إلى معرفة الله تعالى وتعظيمه وتقديسه، لا يطهر النفس ولا يزيكها، علم ضيق ناقص، مبتور، علم مادي حالك، بل وبال على البشرية، إن لم يستعمل في صلاح النفس وتكاملها.

وان قول الله تعالى:

﴿إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ (٢).

(١) سورة الزمر: ٩.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

لا تنافي بين الدين والعلم ..... ١٣

لا يفسر إلا على ما ذكر أي ان العلماء الذين أدى بهم علمهم إلى التوحيد الله وطاعته وتقديسه واتباع شرائعه هم الذين يخشون الله ويخافون عقابه.

فالعلم الناقص، أي العلم الذي لا يبلغ بالفرد الى المعارف الألهية لا يورث الخشية.

وكم رأينا من علماء في الطبيعة والرياضيات وغيرها ملاحدة وجاحدين، يرتكبون المعاصي ولا يخشون الله، ذلك لأن علمهم مادي لم يتجاوز حدود المادة، فلم يسم بهم الى ما وراء المادة.

ان الله تعالى لم ينزل القرآن ليعلم الناس الفلك وعلم الحيوان وعلم النبات، أو الرياضيات، أو غيرها، ذلك لان العلوم لا تتناهى، وكلما اكتشف للعالم شيء بفضل الله شاهد وراء ذلك أودية من المجاهيل.

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>

وانما انزل الله تعالى القرآن ليهدي الناس الى الطرق المؤدية الى تكميل النفس، والبلوغ الى معرفة الله بدرجة تكاملها، ذلك لان الكامل وهو الله لا يريد أن يرى فيما خلق شيئاً ناقصاً، وقد سن للانسان الناقص سنن الكمال، وهي سنة خاتم النبيين محمد ﷺ ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾<sup>(٢)</sup>

(١) سورة لقمان: ٢٧.

(٢) سورة الأحزاب: ٢١.

وما جاء في القرآن الكريم من الآيات الكونية انما هي عصارات العلوم  
وخلاصاتها يصل اليها العلم الحاضر كلما نما وتكامل.

كان العلم الحديث إلى زمن قريب يقول بسكون الشمس وان السيارات  
تدور حولها، وكان القرآن الكريم ينادي منذ الف وثلاثمائة سنة: ﴿وَالشَّمْسُ  
تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾<sup>(١)</sup>

حتى إذا تكاملت المجاهر وتقدمت الرياضيات العالية بما فيها (الميكانيك  
الرياضي) اعترف العلم الحديث بحركة الشمس وانها تجري بسرعة ٧٢٠٠٠ كم  
في الساعة على شكل حلزوني نحو نجمة تسمى بـ (النسر الواقع).

فلا ينبغي أن يتسرع الشاب المتعلم في حكمه على الدين الاسلامي وان بينه  
وبين معطيات العلم الحديث تنافياً لأن ليس العلم الحديث إلا خصائص  
وقوانين أودعها الله في مخلوقاته في هذا العالم.

وليس الدين إلا قوانين ونظما ارسلها الله تعالى رحمة للعالمين، فالمنبع واحد  
والمبدأ واحد، ولا يعقل التنافي مع وحدة المنبع الفياض.

ولنعم ما ناقش به عالم ديني فيلسوفا كان يخالفه في العقيدة والمبنى وكان  
يدعى هذا «الفيلسوف» أنه نبي وكل ما يقوله يوحي اليه ان كان عالم أو فيلسوف  
نبي أيضاً، وان ما يقوله يوحي اليه أيضاً.

لا تنافي بين الدين والعلم ..... ١٥

فأجابه هذا العالم الديني: ان كل ما تقوله أنت (أيها الفيلسوف) يوحى اليك وكل ما أقوله يوحى إلي، والمبدأ واحد، فماذا الاختلاف بيني وبينك؟ فلم يجد الفيلسوف جواباً، ذلك لأن النفوس مختلفة، منها ماهي طاهرة، بعيدة عن الخبائث والأدناس، ومنها ماهي ملوثة بفسوق سابقة، وملذات محرمة: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>

ولك من هذه النفوس رشحات ومظاهر ومعطيات، فلا يترشح من النفس الخبيثة إلا الخبيث، ففلسفتها خبيثة مضلة، ولا ترشح من النفس الزكية إلا الخير، والصلاح، والهدى، ففلسفتها نقية هادئة، لذلك أوجب العلماء العصمة للأنبياء وقالوا بوجوب عصمتهم وطهارتهم من الصغائر والكبائر، فالعلم الذي يوصل الانسان الى المعارف الالهية، ويؤدي الى تكامله، الى حيث لا يعلمه إلا الله هو ذلك العلم الذي يصح ان يقال عنه انه من الدين ومن مكملات الدين، فلا يرى تنافياً بينه وبين الدين، بل يراه في الدين، فالعلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء.

ان المؤلف المحترم هو من أولئك الذي فتح الله أبصارهم، فميزوا بين الحق والباطل، ولم تبهرهم بهرجة القرن العشرين، والسفسطة التي تتجلى بلباس العلم، ولم تؤثر فيهم مظاهر المدنية الحاضرة الخلابية، وزبارجها، بقى ثابت العقيدة، ولا تؤثر فيه العواصف، اتخذ التقوى شعاراً، والورع دثاراً، فطوبى له من رجل فذ، ينير ما حواليه، ويهدي الناس سواء السبيل.

(١) سورة يونس: ٣٣.

١٦ ..... الأيمان والعلم الحديث

ولقد أجاد في مؤلفه هذا بعرض كل ما من شأنه اتمام الحجة ودحض الباطل  
﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup>.

فجزاه الله عن الاسلام خيراً، اناهن تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ  
إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أحمد أمين

ليسانسيه في العلوم الرياضية العالية والفيزياء  
الرياضية العالية، وخريج دار المعلمين العالية  
بالاستانة.

كاظمية

٢٠ / جمادي الأول / ١٣٦٨ هـ

٢١ / ٣ / ١٩٤٩ م.

---

(١) سورة غافر: ١٣ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤ .





# المقدمة الأولى



## بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله كلمة المعتصمين، وأعوذ بالله من متابعة الهوى ومخالفة الهدى،  
والإصرار على المآثم، واستصغار المعصية، واستكبار الطاعة.  
والحمد لله الذي شرع الإسلام فسهل شرائعه لمن ورده، فجعله أمناً لمن  
عقله، وسلاماً لمن دخله، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، وراحة لمن فوض،  
وجنة لمن صبر.

واستغفره مما أحاط به علمه، وأحصاه كتابه.

وأومن به إيماناً نفى إخلاصه الشرك، ويقينه الشرك.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله (صلعم) أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد:

فقد أوغلت في زوايا الأفتدة شكوك في المبادئ الدينية تقويها المعارف  
العصرية على وضع التعليمات الحديثة وتزينها في نظر البسطاء المفتونين فيلقونها  
بتقرير جديد، وتصوير غير بعيد، وما هي إلا الشبهات التي أحاطت بالإنسان

٢٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

الأولى من بدأ بعث الرسل وجعل الشرائع، واهتم بحلها سلسلة الانبياء العظام على وجه يتلقونها من مبدأ الوحي وبيان الرب، بعد أن تمكنت تلك الشكوك في قلوب بعض الشبان والمتنورين واغتالت عقائدهم فانهاالت روحيتهم السعيدة واقترع منها كل رذيلة في الاخلاق ووقية في الآداب.

صار التظاهر ينقض عقائد الدين ودحض نواميس الايمان نوعاً من التمدن وطوراً من الرقي في المعارف، فخاب أمل المرشدين، وفل سيف الموحدين. وصارت الناشئة الجديدة في صراط الرقي من الشكوك التي تتاب العقائد الدينية وتزاحمها في تمالك القلوب.

وقد غطت المبادئ التشريعية غشاوة غليظة من توارد إنكار حملتها في هذه السنين حتى تناءت نواحيها عن نيل تصديق العقول الصقيلة التي تأبى حمل نير التعبد وكلفة تحمل الآداب التي الصقتها بالشرائع آراء قادتها بعد عصور النبوة فتحولت عن سذاجتها وسعتها، وبدلت سرورها حزناً وبياضها بدعاً.

وشتت اصولها الأولية بشر-روح طائفة ضيقت الحياة على أبنائها وأوقعتهم موقعاً حرجاً مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. ولكن في الظاهر اسم بلا مسمى، أي مسلم بلا اسلام.

وقد اختفت عن أفهام هؤلاء معاني الاسلام وعقائد الاسلام.

كأنما ظهرت لديهم بعض الاعمال والأقوال بمظهر غريب يجلبها قسم منهم ويستتهزأ بها القسم الآخر. فكأنهم يحسبونها من أساطير الأولين.

ويا الله من زمن تتهاطل فيه أمطار الشبهات في القلوب العامرة فتييدها ونرى أجواء الأرواح فيها مظلمة بقاتم السحب السوداء تتراكم وتتكاثر وتسحب في مصاب القلوب ظلمات بعضها فوق بعض.

تغلي فيه مراحل الافكار وتتشعب فيه مناحي الالهواء وتنث الوساوس في صدور الخلائق من كل ناحية حتى اعشتهم عن طريق الهداية وساقهم في مسلك وعر ومضيق صعب النفوذ وعقبة كأداء يتخبط فيها البصير الصابر والخبير الممارس ويرجع على عقبه القهقري فيهبط ويتساقط ويفنى ويتهالك.

وكأننا قد عدنا الى تلك العصور المظلمة التي ما كان الانسان يعرف عن الحقائق شيئاً. وكأننا لم توجد الأحكام والبيئات التي جاء بها الأنبياء والرسل، أو كأنها جاءت لتذكر حوادثها كما تذكر حوادث التاريخ أو نقص بعض القصص دون اقتران العلم بالعمل.

ولم يعد القسم الاعظم للمعرفة بها أو التطلع عليها أو درسها اي اهتمام كاهتمامهم مثلاً للاستطلاع على كثير من الروايات الغرامية أو البوليسية وما اشبه ذلك من الكتب والمجلات المصورة، ويعد كل هذا من الضروريات ولكن التعقيب لمعرفة اساس وأصول عقائد دينه ليس ضرورياً.

أما إذا نشأ أحدهم بمعرفة الدين وعباداته وعقائده انما نشأ نشأة التقليد ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>

٢٢ ..... الأيمان والعلم الحديث

لا على النشأة المطلوبة في المعرفة الفردية والهداية الشخصية بصواب ما يفعله وما يسير عليه.

ان هذه الأمور وما شاكلها ألزمتني أن أدون ما جمعته من شتى الكتب والمجلات، في هذه الرسالة البسيطة مما يناسب ويلائم بهذا الأسلوب الذي أظنه سهلاً يسيراً يدركه الصغير ويفهمه الكبير.

ولعلها تهدي من أراد الرجوع الى الحق وتزيل عن الجاهل بعض الظنون والشكوك.


ولعلي قد أدت بهذا ما هو الواجب عليّ، وإن كنت قد أحسنت العمل في ذلك فأنا هو من فضل ربي وإلا فما أنا إلا العاجز الضعيف الذي لا حول لي ولا قوة إلا بالله العليّ القدير فمنه التوفيق واليه المرجع والمصير؟.

كربلاء

يوم الاحد

٢١/ع/١٣٦٨هـ - ٢٠/٢/١٩٤٩م

محمد الحسين الأديب



المقدمة  
للطبعة الثانية





الحمد لله الذي ألهم فأنطق، وابتدع فشرع، وعلا فارتمع، وقدر فأحسن،  
وصور فأتقن، واحتج فأبلغ.

وأشكره على ما أولى وأعطى، فالأؤه جمّة يضعف اللسان عن إحصائها،  
وعطاياه كثيرة يقصر الفهم عن إدراكها فضلاً عن استقصائها.

فألهمني اللهم طاعتك وجنبي معصيتك، ويسر لي بلوغ ما أتمنى من إبتغاء  
رضوانك، واقشع عن بصري سحائب الارتياب، واكشف عن قلبي أغشية  
المرية والحجاب، وأزهق الباطل عن ضميري، واثبت الحق في سريرتي، فأن  
الشكوك والظنون لواقع الفتن، ومكدره لصفو المنائح والمنن.

واجعل اللهم جهادي فيك، وهمي في طاعتك وما يرضيك، واخلص نيّاتي  
في معاملتك، ووقفني بقوة منك، وبتوكل عليك، نحو الغابة المثلّي من خدمة  
الدين المبين، والشريعة الحقّة في ارشاد المسلمين إلى الصراط المستقيم.

والصلاة والسلام على خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وآله الأوصياء  
المرضيين، وصحبه الطيبين الطاهرين، الذين بذلوا النفس والنفس في سبيل  
نصرة الدين، فكانوا خير قدوة يهتدي بها المخلوقين.

وأما بعد: فمن دواعي سروري أن أقدم الكتاب هذا لقراءه للمرة الثانية،  
بعد أن اقتضى أن أضيف عليه بعض زيادات مناسبة لنفاد طبعته الأولى، وان  
كنت قد تأخرت قليلا عن موعد التقديم لانشغالي بتقديم الكتب الاخرى التي  
تلقوها كلها بيد التشجيع، مما كان لي خير محفز لادامة هذه الخدمات الدينية

الاجتماعية، مستمداً منه تعالى المعونة وراجياً منه أن يسلك بنا سبل الوصول اليه، ويسيرنا في أقرب الطرق للوفود عليه، ويقرب بلطفه علينا البعيد، ويسهل علينا بكرمه العسير الشديد.

لأنه تعالى ان أذاق أحداً حلاوة محبته فلا يروم منه بدلا، وان أنس بقربه أحد فلن يبتغي عنه حولا، ولا وسيلة الى ذلك إلا عواطف رأفته، ولا ذريعة اليه إلا عوارف رحمته، واتباع سنن نبيه | نبي الرحمة، ومنقذ البشرية من الغمة.

فأن هذا الكتاب وأمثاله ما هو بشيء جديد في هذا العالم الجديد إلا انه بمثابة منظار يقرب البعيد، ويسهل العسير على الانسان في بعض الامور التي هي من أكثرها ضرورية لحياته، ألا وهو الدين، ويجعله أن يعرف ذلك كما هو عين اليقين، ويعتقد بضرورة التمسك به بالادلة القاطعة والبراهين.

لانه منذ أن عرف الانسان نفسه، وأدرك حسه، وعرف جنسه، ومنذ أن جاء الانسان من عالم النور، وسقط منه إلى عوالم الظلمة والشرور شعر أنه في أمس الحاجة الى نظام يتمسك به، تخلصاً من الفوضى والاضطراب في أركان حياته.

وعلى هذا المنوال مضت الاجيال، وتسلت القرون، وتعاقبت الاحقاب، وانطوت الدهور، والانسانية تعاني ذلك العذاب الواصب والبلاء الدائب، والشقاء المتعاقب.

وبين هذه السنين الطويلة، وبين فترة واخرى، كانت تظهر بعض الانوار الهادية، والذوات المرشدة، لقطع دابر الفساد، من بين العالم الانساني.

فكانت الارشادات على قدر عقول أهل الزمن، وبمقدار احتياجاتهم وبتحمل مداركهم، حتى انتهى دور التكامل والتطور في الانسانية، وبلغت

البشرية أقصى حدود الكمال، ووصلت أبلغ مدى الرقي، واكتسبت أعلى مراتب العقل والدهاء.

ففي مثل هذه اللحظة، بزغت على العالم شمس الاسلام، وطلعت على الناس انوار الهداية المحمدية، وخرجت الى الوجود طلائع النظم الحقيقية، الملائمة لهذه البشرية في كل زمان ومكان، واخذ منادي الاسلام ينادي:

«اليوم أكملت لكم دينكم ورضيت لكم الاسلام ديناً».

فكان هذا بشرى للعالم بظهور معجزات العلم. بعد ذلك مما أيدت أن الحقيقة الألهية واحدة لم تتغير ولن تتغير، ولكن الطبيعة البشرية وما بها من ضعف قد يقودها الى طرق الضلال والهلاك.

فجاءت العلوم الحديثة بعد ذلك مؤيداً ومصرحاً بأن الدين الاسلامي هو الدين العالمي الوحيد، لأنه يشمل العالم منذ وجد، ويمتد الى فناءه، ولا يقتصر- نفعه، ولا تنحصر فائدته في حيز مكاني مخصوص، بل أنه عام شامل لكل الممالك والبلدان، ولكل جيل وعصر. وأنه ليس بالمبدأ المعيب على الفرد إن تمسك به، بل مفخرة لمن تمسك به حقاً، واعتقد به صدقاً أو عمل به كاملاً.

وما أنهجه في هذا الكتاب وغيره من الكتب الدينية، أن تكون سهلة العبارة، واضحة المعاني، مطابقاً لما جاء به العلم الحديث الذي أصبح الشاغل الأهم في حياة الناس في هذا الوقت، ولا سيما الشباب الذي أخذ يزعم كل شيء سوى الحقيقة عن الاسلام، وربما تصوره سبباً لتأخره وتأخر المسلمين، لظنه ان الدين والعلم على طرفي النقيض، أو أن الدين معارض لمطالب هذه الحياة الجديدة، أو

أن الدين داعية التفريق.. الخ!!

وقد غلب عن ذهن الشباب أن يعلموا أن كل هذه الفروض والمزاعم قد تصح على دين غير الاسلام لأن الاسلام دين مدني اجتماعي، يسير مع كل زمان في سبيل مدنية فاضلة تقوم على أساس حرية النفس، وحرية العقل، وحرية العلم، وتوفق بين حاجة الانسان المادية والمعنوية.

ولاشك أن الذين يرون التحول عن الاسلام الى فكرة أخرى ضرورة لا بد منها، أو الى اللادينية المحضة، إنما هم مدفوعين بدافع غير طبيعي، واما لجهلهم حقيقة الاسلام الذي ثبت أنه خير الأديان والمبادئ للبشر.

ولا أظني خاطئاً لو اعتبرت القائلين بالرأي هذا من الطبقة الثانية أي لجهلهم حقيقة الاسلام، هذا الجهل الذي أفقد المسلمين مركزهم بين العالم المتمدن.

وان كان أغلب هؤلاء المعذورون بعض العذر إن جهلوا حقيقة هذا المبدأ الحق، حيث أن القسم الاعظم قد اكتسب الدين من البيت الذي يكاد في بعض الاحيان أن لا يكون له أثر الا الخرافة والتقليد الممقوت في الاسلام.

واما اكتسبه من المدرسة التي تكاد لا تعطيه إلا نظرة بسيطة جداً في الدور الابتدائي يكاد أن يكون خطراً عليه ان لم يزود بمعلومات كافية في الأدوار العليا من الدراسة.

وبجانب هذه المعلومات القليلة، بل المعدومة، يجد الشباب الركود والجمود والخمول في عالمه ومحيطه بجانب ما يلاحظه من الحركة والنشاط فيما يفعله أصحاب المبادئ والاديان الاخرى من الدعاية والتبشير باتباعهم أنواع الطرق كالكتب والصحف والنشرات المتنوعة.. الخ.

وبهذا يتولد عنده الجحود والخروج، لانه لم ير غير ذلك، ولم يسمع سواه.  
وقد لا يوفق الكثير منهم بعد التخرج الى الحياة العلمية للدراسة والمطالعة  
ليضيف على معارفه وينميها فيبقى على نزعتة الأولى من الجهل لا يتزحزح عنها  
قيد شعرة.

ولكن مما يشير بالخير، ان الناس كافة، والشباب خاصة، أخذ يتحسس في  
بعض البلدان الى ضرورة التمسك بدين ينجيه من أهوال هذه الحياة الدنيا، ولو  
ان بجانب هؤلاء طبقة اخرى تظن باطلاً بان داء تأخرنا عن المدنية الحديثة هو  
الدين، ولكي تحيا حياة استقلالية وجب ان تنسلخ وتتجرد من هذا الدين الى  
النظم الأوربية الحديثة المتخذة من انظمة بشرية مملوءة بالمطامع والاغراض  
الشخصية والداعية للفساد باسم الصلاح كالماركسية او الاشتراكية، او الفاشية،  
او النازية، او غيرها... الخ. ولكن مما يغلب على الظن ان هؤلاء سيعودون من  
غيهم هذا الى رشدهم وصوابهم عن قريب عاجل انشاء الله.

فالى هؤلاء جمعت ما في هذا الكتاب، ولا وضح لهم اضرار اللادينية وفوائد  
الدين وضرورته لهم ولمجتمعهم، ولا بين ما يعترف بحقهم عطاء رجال الغرب  
وحكمائهم، بل مصلحتهم الحقيقيين، لعلهم يعرفوا كيف ان الاسلام دعى الى  
الاعتدال في كل شيء، وامر بعدم الانانية، وفرض الكرم والبذل، ومعاونة الغير،  
وانه دين التقدم والمدنية والارتقاء.

والحياة جد، والعاقل من ينظر الى طبيعة سير الجماعات، واستغلال القوى  
الفاعلة، فيستفيد من توجيهها الى الخير توجيهاً لا ينبو عن تركيب مزاجها  
الخاص، وطبيعتها المجهولة عليها.

٣٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

وعلى الانسان ان لا يتزيا تقليداً للأزياء الحديثة المستجدة بزّي فكري اوربي، وأن يكتسب من الآخرين ما لا ينفعه بل يضره، ولا بأس من اكتساب الامور المفيدة منهم، وان يجعل نفسه بعيداً من تأثير هذه التيارات والمذاهب الاستغلالية، ولينجو بنفسه على شاطيء الأمن والسلام بالديانة الاسلامية، وليسلك الطريق التي تؤدي الى الاحتفاظ بشخصيتنا العالمية، ولنكون مسلمين حقاً كما يريد الاسلام منا ان نكون، لا مجرد دين عن حقيقته وبعيدين عن ارشاده، مكتفين باسمه دون مساه.

فمنه تعالى وحده نستمد المعونة، وعليه نتوكل، واليه نيب.

ومنه تعالى ارج وان يبلغنا غاية رضاه، ويعيننا على طاعته، ولزوم عبادته، ويرحمنا بصدنا عن معاصيه ما احيانا، ويوفقنا ما ابقانا، وان يشرح بكتابه صدورنا، وبتلاوته وزرنا، وان يمنحنا السلامة في ديننا وانفسنا، ويتم احسانه فيما بقي من عمرنا، كما احسن فيما مضى منه، وهو ولي التوفيق.

كربلاء

٢٣/ رجب/ ١٣٧٣هـ - ٢٩/ مارس/ ١٩٥٤م.

محمد حسين الاديب

## الدين

### ضرورته وفوائده للهئية الاجتماعية:

الدين هو أعظم وأكبر ناموس في حفظ العالم، وانفذ وازع وراذع للنفوس عن حرصها وجشعها إلى حب التغلب والتفوق واستيفاء الحظوظ من الشهوات الحيوانية والقوى الغضبية.

وهو الخضوع لقوة مدبرة للعالم، أزلية مدركة حكيمة عادلة.

فضلاً عن كونه من أول الفطريات، وأجلى الوجدانيات والبدييات. ويمكن أن نقول: بأن الدين هو الراحة الكبرى، والنعمة العظمى، ومن أعظم لوازم الانسانية، وأهم ما يجب للطباع البشرية، وهو سياج العمران، وحصن الحياة، ومعقل الأمم، ولا تطيب الحياة إلا به.

ولو أن أحداً قبض السماوات بيمنه، والأرض بشماله لما أغناه ذلك عن الدين شيئاً، وإن قبض على الدين فقد قبض على راحة الأبد؛ وسعادة النشأتين، ولو كان في أنياب الفقر، وبين لهوات البلاء.

ويسحتيل بدون الدين قمع شرور البشر، وقطع بذورها من نفوسهم عامة وخاصة، إلا برهبة الدين، وتسليط سيطرته عليها، إذ إن أعظم مصلح يقوم في العالم، وأكبر مدبر ينهض لخدمة المجتمع البشري لا يكون لولا الدين - الا أكبر أهوج خائر مضيع لحقوق شهواته من غير فائدة تعود إليه ولا عائدة ترجع بالعوض عليه، إذ ما الغاية في تحمل ذلك العناء، ورفض تلك اللذائذ، والصبر على شظف العيش، والرزوح تحت أغلال البلاء، مع علمه بأنه سيفنى ويذهب متلاشياً في عرصات العدم المحض والفناء المؤبد.

ولو أن جميع العاملين إلى آخر الأبد صلوا وسلموا عليه بكرة وعشياً وسبحوا وقدسوا بحمده غدواً ورواحاً لم يصل إليه من النفع ذرة وكان هذا واستبداله باللعن والذم سواء.

فهل تحمله تلك المشاق إلا الحمق والخور وضعف الرأي وسوء التدبير وعدم النظر لنفسه!!.

فأن الدين من أرف المسلمين، وأشفق الواعظين، وأبلغ المعزّين لهذا الإنسان البائس، المحفوفة حياته بكل عناء، وشقاء ومصيبة وبلاء، مهما ساعدته العناية، وتمهدت له الأسباب، وتربع على عرش الملك فضلاً على البائسين والمساكين الذين يرزحون تحت مجهدات الفقر والفاقة والبؤس والمسكنة.

ان الدين سلوة، لولا حسن عزائه، وطلب النفس بحسن الثقة به وان الاستلام له داعية كل فضلية، لكان جديراً بالانسان، وحريراً به من أوائل عمره، لأن كل انسان لو عمل الاحصائيات المدققة، وقاس ما يناله في هذه الدنيا من



الدين ..... ٣٣

التعب والمصائب والأخطار الماضية والمستقبلية، لما يحضى- به من النعيم واللذة والهناء والراحة، لوجد هاتيك إلى هذه اضعافاً مضافة الاعداد نسبة الملايين إلى الآحاد!!.

وأى عاقل يا ترى!! يرضى لنفسه بهذه الخطة، ويختار التواطي لهذه المنزلة!! وما ألم الموت إلا لحظة، تمر عليه أمثالها في بقاء الحياة. أما بارقة الأمل والرجاء، فقد أوشكت أن تظهر خلابتها للعيون، ويبدو جهام غيمها للنفوس وتنقشع غشاوتها عن الابصار.

هل من ملك لا يأسف على الماضي من عمره؟ ولا يبكي على فقد شبابه وريعان صباه؟.

فما ذا يا ترى!! ستكون حالة العامة من الرعايا؟.

وكم ذكر لنا التاريخ من رجال بلغوا من العظمة والملك أن سجد الناس أمامهم وعبدوهم دون خالقهم. فما كان مصيرهم؟.

ألم يدسوا في حفائر الأرض، كما تدس الجيف والأقذار؟.

ألم يستنزوا عن مشرفات القصور إلى مظلمات القبور؟ وطاشت بهم اهواء الفخفخة، والرفعة الخادعة، ثم أهوت بهم كما تهوى الزوابع بعاليات الشجر إلى وهدة الحضيض.

أما لولا العناية الآلهية لتطف بالعباد، وتوله أفكارهم بالشواغل المادية عن التوغل والامعان في هذه الخواطر الراهنة، لتركوا عمارة الدين وسكنوا مغارات الجبال، ولعجلوا عجيج الوحوش في الفلوات، ولأنقطع النسل، وبطل العمل،

وعادت الأرض إلى شكلها الأول.

فمن المسكن للوعة هذا الإنسان؟.

ومن الذي يبرد غلته؟.

وكيف يكف من غرب جماحه، وهيجان أشجانه، وجزعه من كل الحياة  
ولذائدها، والدنيا ونعيمها؟!.

تلك اللذائذ التي ما من واحد منها إلا وهي مخوفة بالمكاره والعناء والكدر  
والبلاء!!.

أم كيف يهدأ هذا الإنسان، والحوادث والصر-وف كل آن تهدده بكل خطر  
وكل رزية، وهو لا يعرف بأي حجر يرمى؟ وبأي عثرة يعثر؟ وفي أي بقعة  
يموت؟ وأين يقبر؟.

فان المهديّ لكل هذه اللوعات، والمسكن لهذه الخطوب، والمقل الحصين  
لتلك المحرمات والغرور، والمؤمل المشجع له على الصبر ومكافحة الحياة،  
والعمل فيها ما هو إلا الدين، وليس سواه وهو الذي أمر الناس:

«أن أعملوا لديناكم كأنكم تعيشون أبداً، واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون  
غدا».

فهذا هو الدين، وهو ذلك النظام الاجتماعي العام الذي أنقذ في جميع  
أدواره، وفي زمن جميع أنبيائه ورسله ومبشره الانسان من حالة الحيونه  
والتوحش إلى حالة الانسانية البشرية، ومن محط الجهل إلى شاطيء العلم  
والمعارف وأخذ في كل حين وآخر يجدّد لباس المدنية، فينزع القديم ويلبس

الجديد، وفي كل انقلاب أوجد لنفسه روحية جديدة في ترك العادات القبيحة السالفة، وأخذ يعيش في عاداته وأساليبه الحاضرة، وظن بنفسه ملة حية، وقوماً كاملة الصفات، لأن من مقتضيات وجود الدين والتربية في كل قوم هي إيجاد روح جديد في هيكلهم الاجتماعي وتبديل افكارهم، وتطهير قلوبهم، وتوسيع أدمغتهم، حتى يزيل عنهم كل قديم سقيم، ويقوم فيهم الآداب والمدنية الجديدة.

فالتدين بالدين إذاً من ضروريات الإنسان، ومن صفاته التي لا تنفك عنه، إذ لا يمكن له بدونه الحياة بالرفاه والعيش بالسلام والطمأنينة والراحة.

لأن البشر مخلوق غرز في طبعه أن يعيش مع بني نوعه فيعمل كل فرد (على قاعدة توزيع العمل) ما يحتاج إليه هو وسائر أفراد البشر في حياته وحفظ نوعه.

ولما كانت أفراد البشر - متفاوتة في العزم والهمة والغباوة والفهم والعلم والتفكر والغنى والفقر والضعف والقوة، وفيهم من يرى اللذة في التجاوز على أخيه، والسعادة في سلب ماله، والتمتع بنعمته، فأذا تجاوز هذا على ذلك اختل النظام، وضاعت الحقوقن وقضت القوة على الضعف.

بل كم رأينا في صفحات التاريخ ما قاساه العقلاء من امهم وما لاقوه جزاء ارشادهم من قتل ونفي وتعذيب، لذلك كان من الأمور المسلمة ان الشارع للاحكام الموجبة لحفظ نظام هذا النوع، والمؤمنة لحقوق افرادهم يجب أن يكون ذاتاً تنقاد النفوس لارادته، وتدعن القلوب قبل الأجسام لأوامره بسبب امتيازه على بني نوعه بصفاته العالية، وتأييده بما يملك النفوس من الآيات الباهرة،

فتصبح العقول محاطة بما لا مخلص لها من الاذعان له.

ذلك هو الذي يأتي مبلغاً الله أحكاماً وأوامر، وهو ما يقال له (الرسول) وتلك الأحكام والأوامر التي يقصد منها ارشاد البشر إلى معرفة الله تعالى وعبادته، وإلى اتصافهم بالصفات الفاضلة والاخلاق الكاملة.

كالصدق، العدل، والوفاء، والعفة، والحلم، والصبر، إلى غير ذلك من الصفات التي يحكم العقل بحسنها، وعلو المتصف بها والتي يقال لها (الدين) فاذا عرف الإنسان الخالق عز وجل حق المعرفة وعظمه، وقف عند الحدود التي حددها له.

فلا يظلم أحداً ولا يتجاوز على حق أحد ولا يرتكب ذنباً من الذنوب التي يعد فعلها جسارة على الله تعالى بتعدي حدوده وانتهاك حرمانه.

وإذا تهذبت نفس الانسان، حتى بلغ الكمال، وتقومت اخلاقه، احترامه الناس واستمعوا لقوله ولا يخفى ما في ذلك من التضامن واتحاد الكلمة.

وإذا اضمنا إلى ذلك ما يأمر به الدين، من اقامة العدل، وعدم التجاوز مع الأمر بإتحاد الكلمة وعدم الشقاق والتناؤد ومحو الحقد والحسد نعلم مقدار ما يحصل بسبب ذلك من التآلف والتودد اللذين بهما تنتظم أحوال الناس ويكمل هناؤهم، وما أحسن قول الشاعر حيث يقول:

لعمرك ما الأديان إلا سعادة وما الناس لولا الدين إلا بهائم

## الدين وأهداف الحياة

للإنسانية في معترك هذه الحياة أهداف ثلاثة، هي: الحق، والخير، والجمال، وكل واحدة منها ضروري ما دمنا نريد السعادة وننشد الكمال. والذي يكون الإنسان انساناً.

ولقد مضى على الانسان قرون كان فيها فريسة الجهل، يعبد الشمس والقمر والنجوم، بل يعيد الاحجار والأشجار والحيوان، ولا يتمتع بلذة المعرفة، وادراك الحقائق، ولا تتصل روحه، ولا يسمو عقله إلى خالق هذا الكون العجيب، ولا تفكيره إلا إلى ما بين يديه كأنه واحد من هذه الحيوانات التي تعج بها الأرض لا يمتاز عنها كثيراً.

وكان الإنسان أيضاً فريسة هينة مستسمة لعوامل الشر والفساد التي تتمثل في ضعفه وعجزه، وتتمثل في تسخير الأقوياء للضعفاء، وتتمثل في ظلم الرعاة، وتتمثل في البهيمة الحمقاء التي لا تعرف حدوداً، ولا تهدف إلى غرض، وتتمثل في الانحلال والتخبط والارتجال في كل ناحية من نواحي الحياة.

وكان الإنسان محروماً من إدراكه الجمال، والتمتع بلذاته، فالقانون قانون القوة، كما هو الشأن بين وحوش الغاب، وليس للاخلاق موازين ولا للفضائل مقاييس، ولا للشرف قيمة، ولا للحياة مثل تحثذي أوتراد.

وما لهذا خلق الإنسان، ولا بهذا استحق خلافة الله في الأرض، ولا لهذا استحق بنو آدم على سائر ما خلق الله، فلم يكن من بد من (هداية السماء) تكفله وتهذبه، وتقرب له السبيل، وترسم له الصراط المستقيم، وتخرجه من الظلمات إلى النور، وبذلك كانت الرسالات الآلهية التي تطورت وتركزت وكملت وانتهت إلى رسالة محمد ﷺ وختمت بها كآخر قانون سماوي ضمن له الحفظ والبقاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه، لا لمجرد أن ذلك هو ما قضت به الإرادة الآلهية، ولكن لأنه القانون الذي أتى وفقاً للطبيعة، وزود من المبادئ بما يجعله صالحاً لك زمان ومكان، وبما يجعله قابلاً لكل خير وصلاح تجود به العقول، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين!.

ترى ماذا كان يتطور إليه الإنسان لو لم يمد بهداية السماء!. لاشك أنه سيعرض بعض صور الواقع الصحيح، وبعض نواحي الخير، ويدرك بعض أسرار الجمال، ولكن إلى أي حد؟. وبعد كم من القرون والدهور؟

إن الهداية الآلهية قد عجلت بتهذيب الإنسان وتطهيره، وان المبادئ التي شتمت عليها شرائع عامة، كانت بمثابة بذور غرست فأنبئت، وما زالت تنبت وتؤثر في الغذاء الفكري للإنسان تأثيراً عميقاً، سواء أحسن الإنسان بذلك، أم لم يحسن. قد يظن الإنسان أنه وصل إلى ما وصل إليه من الرقي بعقله، وان لم تكن الأديان لكل العقل ديناً وهادياً، ولكن ما هي مقاييس العقل؟

وهل كان العقل (إذا لم يلقح بهذه اللقحات اليساوية) يمضي قدماً في الطريق المستقيم؟ لا يضل ولا يشقى؟. كلا ثم كلا!!.

ألا ترى الامم البدائية أو المنعزلة؟ تقيم الدهور في عزلتها، وهي ما هي عليه في أفكارها وعاداتها وتقاليدها؟ ونظرها إلى الأشياء، وإدراكها للمعاني دون أن تتطور؟

ودون أن تثبت فيها نابتة من عقله، أو أثارة من علم؟ إلا إذا جاءها ذلك من خارجها، كأن يتصل بها قوم آخرون، أو يرحل عنها بعض أبنائها ثم يعود إليها، أو نحو ذلك، ويومئذ تبدأ في تفكير جديد وتنظر إلى ماهي فيه، فتعرضه على العقل وتناقشه، وتختلف فيه خلافاً شديداً وينتهي أمرها بأن تأخذ منه، وتدع وتعديل فيه وتقوم، فربما تطورت وتطور التفكير العقلي فيها، وتطورت أساليب حياتها على نحو جديد وما ذلك إلا أن اللقاح فعل فعله وأثر آثاره، وإن لم يدرك الإنسان في أثناء هذا التفاعل انه حاصل واقع، ماض في سبيله، موف على غايته!.

هكذا تقاس الحالة البشرية عامة، ولو لم تمد بهداية السماء، أنها تكون في غاية الجهل، ولو أنها تتحرر من هذا الجهل شيئاً بعد شيء، عن طريق الصدفة، أو التفكير العقلي، فان ذلك يحتاج إلى احقاب، وربما انقضى عمر الإنسان على هذه الأرض دون أن يصل إلى الغاية الحميدة التي أرادها الله؟.

ولنتأمل الآية الكريمة: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً\* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً\*<sup>(١)</sup>.

فهي تشير إلى الحقب المتطاولة التي مرّت بالإنسان وهو في طور الخمول، وغمرة الجهالة، حتى جاز أن توصف بهذا الوصف البليغ، فينفى عنه أنه شيء في هذا الوجود يستحق الذكر!.

والإنسان هو عماد هذه الأرض، وهو خليفة الله فيها، وهو أكرم من فيها على الله، فاذا وصف من هذا شأنه، بأنه لم يكن شيئاً مذكوراً، فلا بد أن يكون هذا الوصف تعبيراً عن حالة من الخمول، والضعف والتفاهة.

ثم نذكر الآية بعد ذلك خلق الانسان وأصله، والغاية من هذا الخلق، وما ركب فيه من استعداد فطري له أدوات ظاهرة من الحواس كالسمع والبصر، وتردّد الآية ذلك بنعمة الله عليه في الهداية إلى السبيل والإرشاد إلى الحق وإلى الطريق المستقيم، وبذر بذور المعرفة والعلم في محيطه، ينتفع بها من ينتفع، ويزور عنها من يزور، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيّ عن بينة ﴿إِذَا مَا شَاكَرًا وَإِذَا مَا كَفُورًا﴾.<sup>(١)</sup> ذلك بأنه لا يوصف بالشكر، ولا بالكفران إلا من علم.

من هنا أن يعترف الإنسان، وأن يكون خاشعاً في هذا الاعتراف بالهداية الآلهية كما هو خاضع خاشع في اعترافه بالخلق والتكوين ويجب أن لا يغره عقله، ولا تسول له علومه ومعارفه أمراً، مهما بلغ منها، فيتردد بالاعتراف بأنه محدود، وبأنه موضع فضل إلهي، وفيض رباني، بهما قوامه، وبهما عقله، وبهما سمّوه عن كل ما خلق الله في هذا الوجود، ولولاهما ما كان، ولولاهما ما صار شيئاً مذكوراً!!.

---

(١) سورة الانسان: ٣.



ومما لا ريب فيه بأن العقول تتفاوت وتتضارب، ويرى بعضها الشيء حسناً، بينما يراه الآخر قبيحاً، وهذه القضية يثبتها الواقع، ولا يجادل فيها متصل بالحياة. وإنما كان ذلك لاختلاف أسباب العلم، واختلاف وسائل العلم، واختلاف الأمزجة، والأهواء، والبيئات، والعصبيات، والجنسيات، وميل الإنسان بطبيعته إلى الإعتزاز بنفسه، والاعتداد برأيه وتنفيذ فكرته وفرضها على من سواه فرضاً لا يخضع للمنطق، ولا للعقل، ولكن يعتمد على السلطان والنفوذ والقوة الذاتية.

فإذا ترك الناس يشرعون لأنفسهم، ويضعون المثل لتفكيرهم وثقافتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، فإنهم لاشك متأثرون بما أوضحنا من عوامل الشهوة والمزاج والبيئة والسلطان.

ولا يستطيعون أن يتحرروا منها مهما بلغوا من العلم والحضارة، لأنها طبيعته تتغلب على كل ما سواها. وإن استترت فأنما تستتر في الظاهر، وهي تعمل عملها في الخفاء ملحة مثابرة، لا يثنيها شيء من الأشياء.

ومن هنا رأينا الأمم الحديثة يعتنق كل منها فكرة، ويجعلها مذهباً له في الحياة.

ويحاول حمل الناس عليها تارةً بالقوة وتارةً بالدعاية

فهذه نازية، وهذه فاشية، وهذه اشتراكية، وهذه شيوعية، وهذه ديمقراطية، وهكذا.

وكل هذه أوضاع إنسانية متأثرة بما يتأثر به الإنسان عادة، وليس أصحابها وواضعوها من الملائكة القمريين، ولا من القديسين المنزهين عن الأغراض والنزاعات، ولذلك اختلفت، وتعاركوا عليها واحتاجوا إلى القوة في حمايتها، فلما تخلت القوة عن بعضها انهار وأصبح في عداد الذكريات التاريخية، ولو كان حقاً وخيراً لبقى وصار الجميع إليه متفاهمين.

﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.

فأين هذه النظم من نظم الآله السميع العليم، المنزه عن النواقص والأخطاء، الذي ينظر إلى عبادته جميعاً نظرة العدل والرحمة والسمو؟

وبعد هذا فقد وضع من كل ما ذكرنا بأن العقل وحده غير كاف (حتى في عهود الحضارة والرقي والفكري) للأخذ بيد الإنسانية وتحقيق أهدافها من (الحق. والخير. والجمال) وأنه لا بد من الهداية الآلهية لتوسيع آفاق هذا العقل، والكفالة استقامته، وضبط تفكيره، والحد من طغيانه.

## الدين والعلم في القرن الأخير

اعتبر العلم أول نشوئه منافساً للدين، ثم ما لبث أن تطور التنافس بينهما، إلى أن تحاصم بسبب اختلاف وجهتيهما في الظاهر.

ولقد سار كل منهما على طريقه، عاملاً على هدم منافسه، وتجاوزت المخاصمة بينهما في آخر أدوارها حدود الكلام، إلى الأخذ بالنواصي والأقدام.

وكان رجال العلم في هذا الدور في أوربا هدفاً لأقسى ضروب الاضطهاد، ولم ينقذهم من الفناء إلا نشوء انقسام ديني خطير كانت نتيجته في القرن السادس عشر حدوث عهد جديد من حرية البحث والتفكير، خطا العلم بعدها خطوات سريعة في سبيل استكشاف مجهولات.

وإظهار مخترعات وجهت الأنظار إليه، وجعلت المعول في ترقية الانسانية عليه.

ظل العلم من الناحية الاعتقادية عدواً للدين، رامياً إلى محو أثره من النفسية البشرية. لاعتباره إياه عاملاً أنقضى وقته، وبطلت الحاجة إليه، وما ليس إليه حاجة مادية أو أودية، كان وجوده معطلاً للآخذين به من التأدي إلى الكمال المنشود.

ولكن في القرن التاسع عشر، هذا الذي نال العلم فيه أقصى مناه من الدين، إذ ظهرت آراء علمية قضت بها الضرورة، كان لها أثر فعال في إعادة سلطان الدين إليه، منها الحاجة الملحة إلى إفتراض وجود عنصر أولي لطيف إلى أقصى حد، مالى للكون كله دعوة الأثير، لا يخلو منه حيز في الأرض، ولا في السماء، وأنه كان موجوداً من أزل الأزال، وسيبقى موجوداً أبداً الآباد، وأنه أصل المادة، منه نشأت وإليه تعود. وغلا الاستاذ (هيكل) المدرس بجامعة (بيننا) من المانيا فكتب في كتابه وحدة الوجود (المونيسم) يقول:

«نعم، أن نظرية الأثير غذا أخذت كقاعدة للإيمان يمكنها أن تعطينا شكلاً معقولاً للدين، وذلك إذا جعلنا إزاء تلك الكتلة الجامدة الثقيلة، وهي المادة، ذلك الأثير الموجود في كل مكان الذي يمكن اعتباره إلهاً خالقاً». ثم أيد رأيه هذا الأستاذ (شليسنجر) الالماني قائلاً:

«أن أحقر مظهر من مظاهر الطبيعة غير الآلهية، وأكبر مجلي من مجالي الحياة الآلهية، يمكن أن يعلل وجودهما بفعل قوى طبيعية واحدة، وبما أنهما من جهة أخرى يشتركان في الصدور من الأصل الأصيل المتوحد الذي يملأ الوجود اللانهائي وهو الأثير، فيمكن اعتبار هذا الأثير إلهاً ويكون نتيجة ذلك الحكم أن الاعتقاد بالخالق يتفق والعلوم الطبيعية».

إلى هذا الحد وصل اعتداد الطبيعيين بالأثير، وهو عنصر افتراضي اضطر الطبيعيون إليه، لأنه لا يمكن تعليل كثير من ظواهر الطبيعة بدون افتراض وجوده، فهل بقى لهم وجه للاعتراض على الدينين في القول بوجوب وجود

الدين والعلم في القرن الأخير..... ٤٥

قدرة عليا أوجدت الوجود كله، وامتته بالقوى والنواميس الضرورية، لبنائه على ما هو عليه من تنوع موجوداته، وتباين كائناته؟

والحق أنه ربح للدين من العلم، أعاد إليه ما سلبه منه من الاحترام في نظر اتباعه، فكان هذا جزاء للعلم من جنس العمل على نحو لا يمكن إخفاؤه، فيجب أن يفتن له الذين يهيمنون على العقائد.

وفي العالم تدور بحوث منذ أكثر من مائة وخمسين سنة، موضوعها النفس الانسانية، كان في مقدمتها ما دعاه مكتشفه الدكتور (مسمو الألماني حوالي سنة ١٧٧٠م) بالتنويم المغناطيسي-. وقد ثبت بتجارب العلماء فيه من خصائص الروح الإنسانية ما كاد لا يصدق لو لا أنه شوهد مشاهدة علميه لا تدع عذراً لمستريب.

ثبت منه أن الإنسان متى وقع في ذلك الضرب من النوم، ظهر له عقل أرقى من عقله، وذاكرة لا يفلت منها ما كبر أو صغر من حوادثه فيدرك ما يراد منه ادراكه بذاته، لا بأية آلة من آلاته، وتظهر له من الخواص ما يفوق ذلك، خصائص روحية لا جدال فيها، وهي مع ذلك تجريبية محسوسة.

وقد سلك العلماء سبيلاً آخر للوقوف على ما تجهله من خصائص النفس منذ قرن واحد وصلوا منها إلى غايات بعيدة، ومكتشفات مدهشة.

كل هذا ربح للدين من العلم في مدى المائة وخمسين سنة الأخيرة، وهي تكفي لدحض كل فلسفة مادية، واكتساب حجة الدين قوة تجعلها فوق متناول الشكوك.

أليس من العجيب بعد هذا أن رجال الدين لا يأبهون لهذه الأسلحة العالمية؟!.

ألا فليتحققوا أن العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلم، وأن أي مدرك من المدركات لا يمكن أن يأبه به أحد ممن يعتد بهم، إلا إذا جاءه من طريق العلم، فلا تجعلن بيننا وبينه حجاباً، وأن لفي هذه العلوم الحديثة وما وصلت إليه من التطور دروساً تجتذب بها القلوب إلى حظيرة الحقائق الألهية الخالدة، بما تقرر فيه من المكتشفات الباهرة، وبراهيناً قاطعة للإنسانية والبشرية، وعدم انفكاكها من الهداية السماوية، فمن الظاهر البديهي أن الدين والعلم توئمان لا يفترقان ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>. وان المتتبع للتاريخ بامعان وبصيرة، ليجد ما كان من شأن الدين الاسلامي وقرآنه الكريم ازاء العلوم.

فقد كان من موسوعاتها العلوم العقلية من الرياضيات والطبيعات وما وراء الطبيعة.

فالدين هو الذي قام بالدعوة إليها، والترغيب في البحث عن دقائقها وأسرارها، وبركته وجد بين المؤمنين آلاف العلماء من أمثال: «الكندي، والخوارزمي، ويحيى بن أبي منصور، والجواهري، والفرغاني، والبلخي، والطوسي، وابن سينا، والفارابي، وابن رشد» وأشباه هؤلاء من فطاحل العلوم الرياضية والطبيعية والاثقال وغيرها.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

الدين والعلم في القرن الأخير.....٤٧

فموقف الدين بقرانه الكريم تجاه العلم في العصر- الحديث هو عين موقفه ازاء العلم في القرون الوسطى، إلى عهد التجديد الغربي، فهو كما كان قبلاً لا يفتأ، يدعو العقل إلى التفكير، والابصار إلى الإعتبار، والأذان إلى الاستماع.

ثم لا ينفك يستدرج الناس إلى التحسس من أسرار الكائنات، ويحفزهم إلى الكشف عن غوامضها، والتنقيب عن دقائقها.

فالكل بحكم التعاليم الدينية الخالدة، يفقهون انهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً، وان الله تعالى يخلق ما لا يعلمون، وان الكائنات خلقت مما يعلمون ومما لا يعلمون، وانه ليس للعلم صورة خاصة، ولا حدود حاضرة.

كذلك يجد المؤمن نفسه بحكم آيات القرآن الحكيمة منهيًا عن التقليد في عقائده، واتباع الظن في أحكامه، والميل مع الأهواء في تصرفاته.

ومما يجده المسلم في كثير من تعاليمه ما ترشده إلى مواطن التفكير والبحث، ويعرفه ما يتطلب الوصول إليه من أسرار العالم، ودقائق حقائقه، ولنضرب الآن مثلاً مما جمعه بعض الأساتذة تأييداً لأقوالنا هذه واثباتاً لما بين الدين والعلم من علاقة وثيقة، وترابط هام:

(١) ففي القرآن: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الذاريات: ٤٩.

(٢) سورة يس: ٣٦.

فقد أثبت العلم الحديث بأن جميع أصول الكائنات تكون من زوجين إثنين،  
وسمي أحدهما (الكترن) ودعى الآخر (بروتون).

(٢) في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾<sup>(١)</sup>.

وقد جاء في العلم الحديث أن: ثمانين بالمائة أو أكثر أو أقل بقليل من هذه  
النسبة أحياناً من جميع الاجسام الحية، سواء كانت من الحيوانات، أو النباتات،  
فهو من الماء، وذلك بعد الاستعانة بآلاتها الحديثة ومخترعاتها الجديدة.

(٣) في القرآن: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾<sup>(٣)</sup>.

فجاء العلم الحديث مثبتاً آخر نظرياته باستعانة مجاهره، وارضدته القوية بأن  
هناك عوالم متعددة، ذات سماوات وأرضين، فأثبتوا بمشاهداتهم العينية الصادقة  
أن السيارات جميعها أراض كأرضنا، وقد يكون بها ما بأرضنا من الجمال،  
والوهاد، والماء، والهواء، والخلائق، والعمران الخ

ومن أصرح آيات القرآن الكريم التي تؤيدها هذه النظريات العلمية الحديثة  
قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الانبياء: ٣٠.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

(٣) سورة الطلاق: ١٢.

(٤) سورة الشورى: ٢٩.



(٤): في القرآن: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فجاء العلم الحديث مكتشفاً لصحة هذا القول الكريم قبل قرون عديدة، بأن السيارات هي التي تدور في مدارات وهمية، وليست كما يقول القدماء من الفلاسفة أنها ثابتة في أفلاك دائرة بها.

(٥): في القرآن: ﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فقد أيد العلم الحديث هذا القول الكريم بأن الشمس جسم مشتعل تنبت النار والنور من ذاتها وترسلها إلى سياراتها المرتبطة بها.

(٦): في القرآن: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا

طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

وقد أثبت العلم الجديد هذا المضمون بأننا معاشر الناس عائشون في قعر اقيانوس سيال عمقه على الأقل مائة مثل لعمق اقيانوس الماء العامر للكرة الأرضية.

---

(١) سورة الانبياء: ٣٣.

(٢) سورة المؤمنون: ١٧.

(٣) سورة نوح: ١٦.

(٤) سورة النبأ: ١٣.

(٥) سورة فصلت: ١١.

ولقد رويت بهذا المعنى أحاديث كثيرة، وفيها تسمى تلك الطبيعية البخارية، أو الغازية بالبحر المكفوف، أي الذي لا يهبط ولا يسقط لأنه في حالة بخارية. وأظن فيما روي على سبيل الاجمال، ومراعاة لقصر المقال الكفاية، ومع ذلك فلنذكر فيما يلي طرفاً من الآيات القرآنية في هذا المضمار تاركين للقارئ الكريم التفكير والتحصن في معانيها، وما وردت من التأييدات لها في مكتشفات العلوم الحديثه-:

- ١-: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>.
- ٢-: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.
- ٣-: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.
- ٤-: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾<sup>(٤)</sup>.
- ٥-: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.
- ٦-: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٦)</sup>.
- ٧-: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾<sup>(٧)</sup>.

---

(١) سورة طه: ١١٤.

(٢) سورة القصص: ٥٥.

(٣) سورة العنكبوت: ٤٣.

(٤) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٥) سورة الدخان: ٣٢.

(٦) سورة البقرة: ١٥١.

(٧) سورة الحج: ٤٦.

٨-: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾. (١)

٩-: ﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. (٢)

١٠-: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحِينَ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾. وفي الأرضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَعَيْرٌ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْمَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (٣)

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة النحل: ٤٣.

(٣) سورة الرعد: ٣-٤.



## موقف الدين من المدنية

لقد نتج من تقدم العلم إنقلاب خطير في الأوضاع والمرافق، فقد غزا جميع نواحي الحياة صغيرها وكبيرها، جسيمها وتافهها.

وأصبحنا لا نعيش إلا في أجواء من العلم، ولا نيسر إلا على طريقة تحيط بنا الاكتشافات، وتكتفنا الاختراعات، فأثار العلم بادية في كل مكان، وأصوله متغلغله فيما جل من الشئون وما هان.

لو نظرنا إلى ما أخرجته العلم من معجزات في عالم الصناعة والآلات نجد أن العلماء استغلوا الطبيعة، والكيمياء، والهندسة، وما إليها، فأتوا بالكهرباء، وأوجدوا منها المحركات، والقاطرات، والطائرات، والآلات التي أخذت تعمل ما يعملها الانسان بيديه وما لا يستطيع، ولكن بقوة وعزيمة ودقة قاربت حدود الكمال.

ثم أتوا بالأمواج اللاسلكية، وجعلوها رهن إرادتهم، فاذا بالمستحيل الظاهري ممكن، بل واقع. وإذا الانسان يملأها الجواء، تحمل له الانباء والاخبار والصور.

واتجه العلماء إلى الإنسان وجسده، فتمكن العلم من كشف بعض أسرار الحياة، وقواعد الصحة، وأسباب الامراض، ووسائل العلاج، فتفنن في صنع العقاقير، والأدوية، والأمصال، واللقاحات، واستخرج من العفن البنسيلين، والفيتيلسين، فأتى بالعجب من فتك الجراثيم والامراض، وابادة آثارها، وما تتحفه من آفات.

ولم يقف الغرب عند هذه الحدود، بل أقام الزراعة، والفلاحة، والاقتصاد، والتجارة، والسياسة، على أساس من العلم، فدانت هذه لمآربه وغاياته، ونجم عن ذلك تقدم مادي لم يخطر على بال إنسان!!.

وجاء بعد ذلك إلى الشرق، فدرسه وخبر أحواله، ورأى أن من حقه استغلاله، فأذا الشعوب كالحديد والنحاس، تستغل لحساب الأمم ذات القوة والبأس، وتسخر لمصالحها وغاياتها، ذلك: لأن الغرب سار على مقتضى العلم، يستخدمه في الحياة والعمران، بينما الشرق بقي بعيداً، فلم يسر- في حياته وفق العلم.

ولم يدرك بعد، أن العلم هو الذي يدفع الامم دفعاً في مضمار التقدم، وأن لا حياة لأمة تعيش بعيدة عن العلم وآثاره، ولا كيان لشعب لا يؤسس حياته على العلم، فهو مفتاح النهوض، وهو رأس الرقيّ والارتقاء في معارج الجد والخلود. هذا هو طابع المدنيّة الحديثة (طابع العلم) الذي دخل في صميم الحياة، وانبثت حقائقه في شؤونها العلمية منها وغير العملية.

هذا هو الوجه الحسن في المدنية الحديثة، والجانب اللامع منها، ولكن... هناك ناحية ضعف أدت إلى ما نراه فيها من إفلاس، ومن عدم ملامتها للحياة الهادئة القائمة على قواعد الخلق والروح والفضائل.

لقد استغل العلماء العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب. فأعلموا من شأن العقل والعلم علواً كبيراً، وحكموا العقل في القلب كما حكموا العلم في الدين، فنتج عن ذلك ما تراه من فوضى خلقية، وحروب طاحنة رهيبة فاستأسرت الغرائز، واسرفت المطامع، فاذا آلة العلم تتجه نحو التدمير، والتخريب، والفتك، والتقتيل، حتى أصبحت القوة مقياس تقدم الأمة وعظمتها، ولو تدخل القلب، واتجهت آلة العلم نحو البناء والاثار والخير والكمال لسمت المدنية، وارتفع شأن الإنسانية، ولسار العلم في خدمة الحياة وإعلاء مقامها.

ومن هنا يظهر أن الأمم لا تصلح بالعلم بقدر ما تصلح بالقلب والاخلاق، وان التقدم الذي وصل إليه الإنسان (وقد توافرت فيه أسباب الرفاهة والرخاء) ولم ينج الإنسانية من المصائب المحيطة بها ولا من الأهوال التي تنصب عليها.

هل قضى هذا التقدم على المشاكل العديدة التي يعانيتها المجتمع والواقع ان المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً والتواءاً، كما سلبت العالم راحة البال، وطمأنينة النفس، ذلك: لأن حكمة الانسان قصرت عن تثقيف الرغبات والنوازع الإنسانية، غير حاسبة حساباً للخلق العالي ومعاني الحق: والواجب، والمثل العليا.

والذي يخشاه كبار الفلاسفة، أن الحكمة البشرية إذا أفلست النهوض بعباً  
ادماج العلم في أغراض الروح والخلق، واستمرت هذه القوى في اتجاهها نحو  
التدمير، وهددت ما بقى من معالم الحضارة وآثار الفكر والعقل.

وعندئذ يسكن العلم المصنع، ويطغى العلم على القلب، والماديات على  
المعنويات، فتبقى الحضارة على مشاكلها، والناس في قلقهم، والأفكار في  
إضطرابها، وتتضاعف متاعب الإنسان، وتزيد تعقيداً، فلا يخرج من فوضى إلا  
ويجابه فوضى أشد وأنكى، فلا راحة ولا أمان، ولا سلام ولا إطمئنان!!.

وعليه، فالعلم وحده لا يكفي لوضع حدٍّ لشرور العالم وآثامه! والعلم  
وحده لا يكفي للخلاص من الصعاب المحيطة به من كل جانب، يجب أن يقوم  
العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلى من شأن المثل العليا، والأخلاق  
الفاضلة، كما يجب أن تقوم المدنية على المعنويات، وتوفق بين العلم والروح كما  
تلائم بين العقل والقلب، والحياة لا تكون آمنة يسودها رحمة وسلام إذا طغى  
العلم على الأرواح والأوضاع، بل أن لا تكون نامية رائعة إذا لم تسر- على وحي  
القلوب، ولن يستطيع الإنسان أن يرد من الحياة الآثام والشرور والمفاسد إذا  
حكم العلم وحده منصرفاً عن معاني الخير والجمال.

ولا يصفو العيش في جوّ مادّي تفرغ فيه القلوب، وتملاً الجيوب والأعصاب  
لا تهدأ وهي عرضة للتزعجات التي تذكّيها المادية! وهل للحياة قيمة؟ أو لها روعة  
إذا بعدت عن المعنويات، وهزأت بالروحيات؟.



وقد وضع العلم في أيدينا قوة عظيمة إذا لم نحطها بسياج من الخلق والروح انقلب إلى قوة هدامة مدمرة، وعلى المعاهد والمفكرين أن يعملوا على حفظ هذه القوة ضمن هذا السياج، لتجني منها الإنسانية قوى الخير والبناء والاثار.

وعلى المفكرين والمعاهد أن يحاولوا المساهمة في هذا السبيل، ويسيروا بجهودهم في طريق ادماج العلم في أغراض الروح العليا، حتى يعرف النشأ كيف يعيشون، وكيف يقومون بواجبهم، ويؤدون رسالتهم بنفحات روحية، وعلى أساس من الخلق متين.

ويجب أن لا يغتر النشأ بهذه المدنية، وأن لا يسيروا وراءها دون روية وتمحيص، وأن لا يأخذوا بأراء القائلين بالسير مع المدنية والانغماس في ماديتها، ونبد التقاليد الشرقية والغربية، وقطع كل صلة بالماضي.

يظن أغلب الشباب أن قطعة صغيرة من طائرة أو سيارة أفضل من كل ما ورثناه من خلق ومعنويات وتراث روجي خالد!!.

لقد نشط الفكر، فلينظروا إلى أوروبا فعندها الاختراع، وعندها الآلات، وعندها المصانع والأدوات... ولينظروا ما ذا حلّ بها؟ وكيف حالها في هذه الأيام؟.

نظر القوم إلى العلم، ولكنهم لم يعبأوا بالقلب او الروح!!.

نظر هؤلاء إلى النجوم، لكنهم لم ينفذوا بصيرتهم إلى الله وراءها فماذا كانت النتيجة؟. كروب أحاطت بهم، وحيرة انتابتهم، فاذا هم في جحيم يتلظى، وفي دنيا من نار ودخان!!.

لا كانت المدينة، ولا كان علم يقود العالم إلى هذا الدمار، وإلى هذه الفوضى في الخلق والأوضاع.

فليس العلم كل شيء في هذا الوجود!!.

ان الاخلاق والمعنويات شيء عظيم في هذا الوجود، والإنسان لا يكون الرجل الذي ينشده الدين والفضيلة، إلا إذا صح إيمانه بالله، وحكم للقلب على العقل والمعنويات على الماديات.

والمدينة لا تكون سامية فاضلة إلا إذا سيرت العلم مع القلب والعقل مع الإيمان واليقين.

إذا أيقن الإنسان انه عماد أمته، به يترفع شأنها، وبه تقوى وتزداد حيويتها، إذا أيقن أنه من وثبات مجدها، ومن خفقات قلبها، وان أغزر الناس حياة أعمقهم تفكيراً، وأنبلهم شعوراً، وأصلحهم عملاً. عندئذ فهو الجدير بالحياة الكريمة، وحمل أمانيتها وتبعاتها.

ان الجماعة إنما تصلح بالخلق والضمير لا بالعلم.

وأن النفوس لا تقوى إلا بتذليل الصعاب، ومجابهة المتاعب والعقبات والأخطار، وان من يقف أمواله وأيامه وجهوده على امتاع نفسه لا يعرف الحياة، لأنه لا يعرف الوطن.

فالعلم وحده نقمة وشقاء، وهدم وتدمير!!.

ولا يزكو العلم، ولا يثمر، ولا يصبح أداة خير وبناء واصلاح، إلا على اساس من الروح والخلق العالى، ومدد من هداية السماء.

موقف الدين من المدنية ..... ٥٩

وان الرجل العظيم هو الذي يرشد بالمعرفة والعطف، لامن يستفز بالتحكم والبطش.

وأن أعظم الجماعات أقواها قلباً، وأحياها ضميراً وإيماناً، أكثرها صلة بهداية السماء.

فقد أصبح للدين بالنسبة للمدنية موقفاً عظيماً جديراً بالذكر والثناء فإنه الذي أبدل الفوضى في العالم نظاماً، وضرب المثل الأعلى للرفي والعظمة وأصبح مرآة للحضارة والمدنية بتعاليمه القومية، وجعل تلك النفوس الجافة والقلوب الغليظة أمة لها أخلاق سامية، وسجايا عالية.

علو في النفس، وصفاء في التفكير!.

حاجة العقل، ورقة في الطبع!.

إقامة للعدل، وخضوع للحق!.

فموقف الدين بالنسبة للمدنية موقف محدث للثقلاب في جميع فروع الحياة:

تناول العقائد والآداب.

تناول الأخلاق والعادات.

تناول السياسة والتشريع.

تناول الآمال والمطامح.

وهل المدنية الحققة غير هذه الأمور الحياتية الفاضلة؟.

فجاء الدين واقفاً موقف الخير ومجانباً للشر.

فلا قتل إلا بالحق!

ولا زنى، ولا سرقة، ولا خمر، ولا قمار، ولا ظلم، ولا عدوان، ولا شقاق،  
ولا نفاق.

ووقف الدين موقف المتمم لمكارم الأخلاق.

فلا تحاسد، ولا تباغض، ولا غيبة، ولا نميمة، ولا كذب، ولا زور،  
ولا عدوان، ولا بهتان، ولا غش، ولا خيانة، ولا تجسس، ولا هتك للحرمت.

بل اعتصام بحبله تعالى، ومساعدة للبائسين، واليتامي، والمساكين وبذل  
المال للسائلين والمحروين.

فهل بعد هذا ثمة شك أو ريب، في أن الدين لم يقف موقفاً ضاراً في سبيل  
الرفي والمدنية؟. إلا اللهم إذا كانت المدنية غير هذه الأمور أو بعكسها!!.

فلو رجع المتدينون إلى آدابهم وأخلاقهم السامية العالية، لعادوا إلى مجهدم  
القديم، وعزهم المنيع.

ولو تسمك العالم بالدين لفازوا بالخير والفلاح والنعيم.

## المثل الأعلى للأديان

بعد أن اتضح مما سبق على وجهالاختصر بأن الدين من ضروريات الحياة، ومن لوازم الإنسانية، والعوامل البشرية، ومن م مهدات السلام، والطمأنينة، والرفاه والمدنية الفاضلة، ووجب معرفة خير السبل، وأفضل الطرق، الوصول بها إلى تلك الغاية السامية، وتحتم الاعتناق بذلك الدين القيم الذي يصلح أن يكون ديناً أدياً صحيحاً ملائماً لجميع الأزمنة والأدوار.

الدين الذين يمكن أن نقول فيه أنه خلاصة ما دار على الأديان من التطور منذ بعث الرسل حتى الآن، ويسير طبقاً لما يدور، وسيدور في هذا العالم من الأحوال، ويكون وفقاً في غاية المرام على مر السنين والأعوام.

فما هو ذلك الدين الذي يصح أن يكون المثل الأعلى لهداية السماء إلى هذه الإنسانية؟ يا ترى! أيمن أن يكون كل هذه المعاني والخلق العالي، مجموعة في دين غير الإسلام؟؟.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(١) سورة آل عمران: ٨٥.

لقد تحدث بعض الذين مكنتهم القوة المادية من السلطان عن نظام جديد للعالم يكفل له السلام والعدل، ومثل هذا النظام لا يمكن أن يقوم إلا على أساس الدين.

وقد لدت تجارب الماضي الطويل، أن نظم الإنسان لا تبرأ من النقص، لأعواز الكمال فيها، وغلبة الهوى عليه.

وإذا استحال على العالم كله اعتناق مدنية دينية واحدة، لأن الله لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة، فأنا المسلمين أولى الشعوب بالمبادرة إلى هذه المدنية الفاضلة، لأنهم مدينون لدين الله بسلطانهم الذي طبق الارض، وعمرانهم الذي جمل الدنيا وشريعتهم التي نظمت فوضى الحياة ولولا الدين ما كان لهم علم ولا حكم ولا حضارة.

ولعل الذين استهوتهم مدينة الغرب من الشرقيين فقلدوها تقليد التابع الذليل، قد ادركوا اليوم بعد أن زيفتها التجارب، وكشفتها الاحداث، وحكم عليها أهلها أن الرجوع إلى مدنيتهم احق، واقتباس النافع من حضار الغرب أولى، وانشاء مدينة فاضلة مستقلة تقوم على الدين الصحيح، والاخلاق القويمة، والتقاليد الصالحة، هو الاشبه بأبناء الذين ورثوا مدنيات الشعوب وثقافات الأمم، ثم اجروها على دستور القرآن ووسموها بطابع العرب، حتى جعلوها مدنيتهم الخاصة، إليهم تعزى، وعنهم تؤخذ. ولنستشهد بأقوال بعض العلماء الغربيين، ولنبرهن بأقوالهم على افضلية دين الإسلام، واحقيته على جميع الاديان، وفضله على مدينة العالم اجمع، والذي لا يمكن انكاره.

وليعلم من لا يعلم ذلك، واعني به من لا تكفيه عظمة قرآن الاسلام وعبرية نبيه في ذلك، ليكون ذلك لديه دليلاً كافياً، وبرهاناً قاطعاً، وحجة تامة، وعبرة لمن اعتبر!.

فليسأل الشرقيون علماء ومربي الغرب الاوربين عن مصدر مدنيتهم الحاضرة، وحياتهم الجديدة، ليعلموا من اي مدينة ومملكة جلبوا هذه الاحكام، والافكار العجيبة التي حيرت العقول، واعجزت الافكار والافهام عن كنه معرفتها، مع العلم انه لم يكن لديهم غير سيدنا (المسيح عليه السلام- قائداً ومربياً- ولم يكن (المسيح) عليه السلام من أهل سياسة وتدبير.

يذكر المؤرخ الفرنسي- «فوستيل دو كولانتر» في الفصل الثاني من كتابه «التمدن القديم»:

«لم يتداخل المسيح- عليه السلام- بأي وجه من الوجوه في امور القضاء، والتملك، والارث، وما يخص المدنية من الاحكام، ليعلم العالم بأن ابتداء المدنية، والحياة الجديدة، والتربية الصحيحة، سيكون من مدينة علم الاسلام التي سيجعل العالم اهلاً للعلم والمدنية».

يكتب المستر «بار ثلمي سنت هيلر» في ترجمة القرآن:

«لقد اصلحت مفاصل ارائنا واشرفنا في القرون الوسطى بمعاشره المسلمين وتقليدهم، واقتبس اسلافنا من المسلمين الآداب الحسنه والاخلاق والصفات المقبولة، والسجايا المحموده».

يقول المؤرخ «غوستاولوين»:

«لقد اثر التمدن الاسلامي على العالم تائيراً محيراً للعقول، ونفوذ الاخلاق الاسلامية وتربيتها قد أدخلت الأقوام الاوربية الوحشية التي كانت تقلق راحة السلطنة الروحية في طريق التمدن، ولقد فتحت افكار المسلمين الجبارة ابواب العلوم والفنون والفلسفة التي كان الاوربين في جهل عنها لهم، وكان المسلمون استاذتنا طيلة ستمائة سنة».

يقول المستر (كارليل) الفاضل المعروف:

«ان القرآن هو التشريع الاساسي لكل زمان ومكان ومعدن القضاء، وقوانينه المتبعة في أمور الحياة لتهدى وتنير الطريق لاتباعه، فيلزم على كل فرد أن يفكر في آياته الحكيمة، ليخلص بنوره من ظلمات الحياة».

ويا للأسف!. ان جماعة من الجهال لا يصدقون هذه الاقوال ويقولون:

«أن الإسلام هو سبب تأخيرنا، ومسبب لظلمة حياتنا». ويجدر بهؤلاء ان يفكروا ملياً، ويشاهدوا ما في التاريخ، ويلاحظوا اقوال العلماء والفلاسفة، وليسألوا انفسهم بعد ذلك:

كيف كانت يا ترى! حالة اوربا ان لم تنتشر الديانة الاسلامية؟.

وليذكروا كيف كانت حالة اوربا في القرون الوسطى؟.

وكيف كانوا قبل أربعة قرون مضت؟.

ولكن لا ينكر وجود جماعة من المفكرين الذين وجدوا فيهم وعرفوا كيف يعملون.

يقول المؤرخ الشهير «غوستاولوبون»::



«ولقد ظهرت احساسات بسيطة في اوربا، وذلك بين القرنين الحادي عشر- والثاني عشر، وتوجه أفراد من هؤلاء المفكرين الذين رأوا وجوب النهضة لديهم.

وعظم المصاب في التأخر عندهم إلى المسلمين الذين كانوا حينذاك في درجات من الرقي، وفي سنة ١٣٠ هـ بدأوا يترجمون الكتب العربية إلى اللاتينية، وذلك في دار الترجمة التي أسسوها في (طليطلة) المدينة المشهورة، وبهذا توسع نطاق أفكارهم، وأخذوا يتصورون حياة جديدة من وراء هذه الكتب، ولهذا يجب أن لا ننس ما للاسلام والمسلمين من اليد الفعالة في ايجاد هذه النهضة والمدنيات الحديثة».

كتب المستر «داوداوار كوهرت» في مقدمة كتابه في المجلد الأول المسمى «روح الشرق» المطبوع سنة ١٨٢٩ م:

«أن الإسلام لم يكن ديناً مبتدعاً، ولا وحيّاً مخترعاً، ليس به قومية، ولا حكومة كئناسية، بل سن شريعة للناس كافة و نظاماً مدنياً، يجب على كل فرد الانقياد إليه».

ولقد أكثر هذا القول جم غفير من الأوربين مثل: (بلكريف)، (فمبرى)، (رولنص)، (ليرد)، (رولند)، (ستانلي)، (الدري)... وغيرهم.

وبما قاله (اسحق تيلر) في ملاحظاته في (ولفردهمبتن) ونشرت في جريدة التايمس في ٧ تشرين سنة ١٨٨٧ م:

أ- (قد افاد الاسلام أكثر من النصرانية).

ب- (أما الإسلام فقد أزال جميع المنكرات، والخرافات، واخلص التوحيد لله عز وجل، وعلم كيف يدرك أدنى الشعوب الفضائل والكمالات الانسانية، كالعفاف، والطهارة، وحفظ النفس، والعدل، والاحسان، والضيافة، والصدق، والتسليم للقضاء والقدر، فالاخاء المسيحي صوري فقط، وأما الاخاء الاسلامي فهو اخاء حقيقي، ومما يليق بنا أن نذكره ان الآداب الاسلامية خير من آدابنا، وذلك بتسليمهم لقضاء عز وجل وقدره، والल्पف، والوداعة، والصدق، والاخاء الايماني، فلا غرو أن يكون لنا بهم أسوة حسنة، فقد حرم الخمر، والميسر، والبغي، وهذه من مساوي البلاد المسيحية..).

قال السير (وليم ميود) في كتابه المسمى (حياة محمد):

«ان القرآن ممتلىء بأدلة من الكائنات المحسوسة، والدلائل العقلية على وجود الله تعالى، وأنه هو الملك القدوس، وأنه سيجزي المرء بعمله أن خيراً فخيئراً، وأن شراً فشرأاً، وان اتباع الفضائل، واجتناب الرذائل فرض على العالمين، وان الواجب على كل مكلف أن يعبد الله تعالى، وهي علة سعادته، وقس على هذا ما هو موضح بأدلة مؤكدة بليغة».

وقال (وشنطون) مثله ايضاً.

وقول (جيون):

«أن أوامر القرآن ليست محصورة في الفروض الدينية والأدبية فقط، فان سكان الممالك التي هي من حدود الاقيانوس الاتلانتيكي إلى الغنجس يعتبرون

المثل الأعلى للاديان.....٦٧

ان القرآن الكريم عليه مدار الأمور الأخروية والدينية من الفقه والتوحيد: والاحكام الحقوقية والجزائية، وما به انتظام الكون وقمع النظام، وصيانة الحقوق، وذلك أمر إلهي لا مرية فيه، وبعبارة أخرى: أن القرآن المجيد هو الدستور العمومي لكافة العالم الاسلامي، وهو دستور الدين الاسلامي، فهو نظام الكون في المعاد والمعاش، وبه النجاة الأبدية، وحفظ الصحة البدنية، والطامح العمومية والشخصية، وما يترتب على ذلك من الفضائل الأدبية، والاجراءآت الجزائية الدينية والأخروية، كل ذلك نظم في القرآن المجيد... الخ».

ووصف (ثبورت اسمث) بكتابه: - حياة محمد (صحيفة ٣٤٦) وقال تبياناً لما قام بأفكاره:

« أن محمد ﷺ لمؤسس أمة ومملكة وهداية وهذا أمر لم يوجد له سبق مثيل، ولن يوجد، وهو أمي لا يعرف القراءة والكتابة، وقد جاء بكتاب مشتمل على دستور الشرائع والعبادات وأخبار الأمم، وهو نفي العبارة من الألفاظ المستهجنة، باهر الحكمة والحقائق، وهو معجزة له «ﷺ» والحق يقال: أنه معجزة.

وذكر في «البيبليرا الانسكلوبيديا» (مجلد ٨ صحيفة ٣٢٦):

« أن لغة القرآن أفصح لغات العرب وأساليبه وبلاغته، لسحر للألباب يحسنها، وسبقي غير معرض إلى الأبد، ومواعظه طاهرة، وكل من يتبعها بتدبر يحيا حياة طيبة.

قال (شاتفلد) في كتابه المسمى بـ (التصفح التاريخي) صحيفة ٣١١:

(لو أن العرب والترك وغيرهم من الشعوب الاسلامية فعلوا في الشرق ما فعله الاوربيون في أهل القرآن لتلاشت المسيحية من الشرق، غير أن دينهم يأبى ذلك ويخولهم أن يكون لهم من الحقوق ما للمسلمين.

وبعد التأمل بكل ما نقلناه من أقوال العلماء والفلاسفة الغربيين الذين يشهدون بأفضلية الدين الاسلامي، وبأحقيته على جميع الأديان، وبأصحية نظامه ودستوره وأحكامه بما نزل في القرآن على جميع الأنظمة والقوانين الملائمة لكل دور وحين، فليس من العقل أن ينكر أحد من ذوي الألباب، وأرباب العقول، واصحاب الفهم، ومن له الادراك والتبصر- بأن هناك ديناً افضل من الاسلام، أو شريعة أحسن من شريعة القرآن الكريم.

دين جمع كل الفضائل، ونبذ جميع الرذائل!.

دين آدابه من أعظم الآداب:

فانه حرم قول السوء بقوله تعالى:-

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجُهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾. (١)

وحرّم التجسس والغيبة بقوله:-

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾. (٢) الآية.

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٢.

وحرم الخمر والميسر بقوله:-

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (١)

وحرّم الخبائث والفساد بكافة أنواعه.

وحرّم التكبر، وعمل السوء، والنفاق، والحسد، والطمع في الحياة الدنيا، وبحسن الكيل، وأكل مال اليتيم وقهره.

ومنع البهجة الظاهرية.

وحض على الاخلاص القلبي، والعمل الصالح، والذين هم دليلان على صدق الإيمان.

دين أوجب حقيقة الإحسان على كل مؤمن، وبين ذلك بقوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. (٢)

دين يرشد اهله إلى الاحكام المنظمة لاحوالهم الدنيوية، كتوطيد الأمن، ومنع التعدي من الاشرار وارباب المطامع، ووقوف كل فرد عند حده.

ومما في الاسلام:

(١) سورة المائدة: ٩٠.

(٢) سورة النساء: ٣٦.

الرفقة على الاطفال.

الوفاء بالعهد.

المساواة الحقوقية فيما بين الناس.

الاحسان.

العفة.

فك الاسرى.

الصبر على البلاء.

احتمال المكروه.

مقابلة الاساءة بالإحسان.

السلوك في سبيل الفضائل لا طمعاً بل لكون ذلك مرضياً عند الله عز وجل:

ومما نهى الاسلام عنه:

ظلم الارقاء:

قتل النفس.

تأخير التوبة إلى ساعة الموت.

أخذ مال الغير دون رضاه.

البغي والفساد.

الكذب والخداع.

التلون، والمكر، والحيلة، والنميمة.

إجبار الغير على قبول الاسلام رغماً، وذلك بقوله تعالى:-

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾<sup>(١)</sup>.

ومما لاشك فيه، أن الدين الذي يدعو إلى هذه الأمور التي يحكم العقل السليم يحسنها هو الموافق للعقل السليم والملائم لهذه الانسانية ليخلق من الانسان انساناً حقيقياً بما في كلمة الانسان من المعاني.

وغذا وجدنا في هذا الدين ما نراه مخالفاً حسب عقولنا فما هو إلا من ضعف ادراكنا، وقصر عقولنا في الحقيقة، لأن الدين والعقل صنوان لا يفترقان.

والدين الإسلامي هذا هو الدين الذي يدعو (عبد الله ولهم) في رسالته الشهيرة (العقيدة الإسلامية) المترجمة بالعربية ابناء وطنه قائلاً:

هذا هو الاخاء الذي ادعو اليه ابناء وطننا الانكليزي، وهذا هو الايمان الذي نعرضه عليهم ليعتقوه، راجياً منهم نبذ العصبية الدينية وراءهم ظهرياً، وهي التي ورثوها كابراً عن كابر، وان لا تمسكوا إلا بعروة الايمان الوثقى التي لا انفصام لها.

ويدعو كل ما لا يقبله الذوق السليم، والطبع المستقيم، إذ كل ما لا يدرك ولا يدخل تحت الامكان ينتج ضرورة وجود الريب وعدم الثقة. وهو أمر تخشى عواقبه في الايمان الحقيقي، لأن النتائج دقيقة جداً وعاقبته الضلال والغواية، وهي خطر عظيم.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

وكلما نتوق إلى كنهه من الأمور الدينية المهمة، فإن الدين الاسلام ينبى عنها بأجلى بيان، ويّعلم الانسان حقيقة التسليم إلى الله تعالى.

﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وان الذين يقولون ان الاعتقادات ليست بشيء، فمن المحال أن يكونوا قد أدركوا حقيقة قولهم، كما قال - كونس روجس - بما يقتضي الحال:

(في اي بلاد يكون دين المرء غير ثمين لديه، مع أنه يعتقد ان وراء هذه الدار داراً أخرى وبها تكون المكافأة والمجازاة، وخلاصة سعادته وشقائه متوقفان على ايمانه، وما أجهل امرىء أوضاع حياته بما به الوبال والخسران عليه، لأنه لم يعتنم الفرصة التي اغتنمها من هو أعظم منه ادراكاً، وأقوى شهامة، فإنه ترقى في سلم النجاح).

(فالايان ليس صناعة أو علماً يمكنه استقراء أدلته كي يظهر به فساده في هذه الحياة الدنيا بل انها تظهر نتائجه وما يترتب عليه في تلك الدار).

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

فيجب على كل انسان أن يصرف همته إلى الله تعالى بالاخلاص في الأعمال الصالحة، حتى إذا أتاه اليقين شرب كأسه غير رجل متكلاً على الله عز وجل بإخلاص، فيكون كطفل أمرته أمه بالنوم ليرتاح من عناء نهاره.

---

(١) سورة فصلت: ٢١.

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٧.



﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

إذاً الاسلام هو الدين الحق الذي يجب اتباعه للاستضاءة به، والاسترشاد بأحكامه، واقتان العلم بالعمل بعد معرفة أو امره وقوانينه.

أما العلم والعمل فهما فرض في نواميس الحياة وأصول تنازع البقاء على كل فرد من البشر وكل شعوبه، وان اختلفت العلوم، وتنوعت الاعمال، ولكن لا ندحة لذي صحة عن عمل ما بينى على علمه اللازم له، واللائق به، وإلا فالعمل بلا علم كالبناء على غير اساس أخلق به وشيكاً أن ينهدم على صاحبه ويقضي على ظمأ حياته.

والعلم بلا عمل كالأساس بلا بناء، لا يزال صاحبه ضاحياً في وهج الشمس عرضة للصروف، ولا يعتم أن تمزقه نفحات الزمهير، ولفحات الهجير من عواصف هذا الكون.

تمزقه مجاذبة الحدثن بالاهمال: ولو أظلمته ارفة القصور، أو انضمت عليه أجنحة النسور، فالعلم والعمل هما المعنيان، بل العينان واليدان للرجل والرجلان، وهما الأداة لكل مساع إلى سبل الغايات الحيوية بل السعادة الأبدية، فرداً أو اسرة، جماعةً أو وحداناً.

وان الاسلام: هو الدين الأصيل الذي تطابق نواميسه العقول وتقبله الفطرة، ويتكفل بكل شرف وسعادة.

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾<sup>(١)</sup>.

واستشهاداً لعظمة هذا الدين المبين نقل هنا نص خطاب لشخصية غربية من الألمان قد أعلن ترك الكنيسة والانفصال عنها بعد أن ثبت لديه مفسدها منذ الحرب العالمية سنة ١٩١٨ م وبقي يفتش عن دين صحيح يصح ان يكون المثل الأعلى للاديان، فاهتدى قبل سنوات خمس إلى غايته المنشودة، وهي الاسلام الذي عده كما هو الحق المثل الأعلى للاديان، والدين الوحيد الذي ينبغي للانسان ان يتدين به في مثل هذا العصر والزمان، فأعلن اسلامه في الجامع الأزهر في مصر، ثم زار العراق والعتبات المقدسة فيها ليقبس منها النور الآلهي الحق، وليؤمن حقاً بأن الدين عند الله الاسلام.

وهذا ما نص خطاب له القاه في الأزهر:-

السلام عليكم:

كم يفد الناس إلى البلاد الاسلامية، وقد امتلئ ترؤسهم بأفكار مشوشه، وكم يأخذون عنها صوراً كاذبة بعد قضاء فترة من الزمن فيها، وكم يروون من الخزعبلات عنها عندما يعودون لأوطانهم.

فكما يفعل الناس في البلاد ذات التفكير الأوربي من الخلط بين (الإله) و(الدين) و(الكنيسة) كذلك يحكم الاوريون على الاسلام ومقفيه حكماً خاطئاً في الغالب، لأنهم يرون كل شيء بأعين أوروبية، ولأنهم لا يفهمون كيف يتغلغلون في نفسية المسلمين.

لا يستطيع الإنسان الحكم على أمر من الأمور ما لم يعرفه حق المعرفة... إذاً فلا تحكم - يا صديقي - على الأمور في عجلة وقبل الأوان وإلا كان حكمك خاطئاً ظالماً، فأنت ولا شك تحب الحق، وتبعاً لذلك، فأنت تحب العدل، إذاً فدعني أسدي إليك مشورتي:-

الاسلام هو أكثر الأديان اجتماعية، فما هو الدين؟. الدين: هو علم التعرف على الله، لا تحكم تبعاً لبعض النماذج التي تحت ناظريك والتي قد تكون قد أثارت سخطك، فالطبقات الشعبية الضخمة - من الناحية النفسية - موجودة في جميع المدن الكبرى، الأوروبية والأمريكية، وليست قاصرة على الشرق وحده، فاذا بدرت من هذه الطبقات في الشرق اخطاء كبرى فالمسؤول في المواقع من حدوثها هم اولئك الذين لاعتناقهم أدياناً غير الاسلام، يسلكون مع هذه الطبقات الشعبية كما لو كانوا عبيدهم أو آدميين من الدرجة الثانية. ناسين أن هذه الطبقات قد تركت حتى الآن دون تعليم أو تهذيب عن قصد.

فالناس في هذه البلاد وإن كانوا فقراء، إلا أنهم ليسوا شيء الطوية.

دع النظر إلى الأمور بأعين الأوربي، واعلم أنك إمام عقلية مختلفة وامام موقف من الخالق والحياء يختلف عما في بلادك، فالاسلام يعطي الناس القوة على تحمل ما يقترف معهم من مظالم.

فما هو الاسلام؟-

الاسلام: معناه التسليم - التسليم بما فرضه الله عليك من واجبات في سبيل المجموع، أليس هذا أسمى ما تهدف إليه أمة؟ وأكثرها مثالية.

لن تجد كرمًا ولا تأدباً أكثر مما تجد عند المسلمين، فهل استرعى ذلك نظرك؟. والاسلام: سواء منه الاتجاه التقليدي أو الاتجاه الحديث يعترف بمدأ الفردية، وبها للاسرة من مكانة خاصة: وبها تفرضه الكتب السماوية من نظم. فكن معي قليلاً أيها الأخ:- أي الديانات تعتنق تلك الامم التي شنت أكبر الحروب العالمية، وأفطعها رغم ما توصي به تلك الأديان من المحبة للجيران، ورغم ما تدعيه تلك الامم من حضارة ومدنية، وليتها اكتفت بشنها فيما بينها دون أن تجر إليها الامم الضعيفة المتأخرة على أي حال لم تكن تلك الامم اسلامية، فمحنة الجار الحقيقية تجدها عند المسلمين، فلقمة الخبز وجرعة الماء الباقية يفتسمها المسلم معك، وليس هذا مجرد إدعاء، بل حقيقة واقعة، ومحبة عماية، كما يفرضها القرآن.

حقاً توجد هنا كما في سائر بقاع الأرض مشاكل اجتماعية كبيرة وهذا ما يعلمه قادة الاسلام حق العلم وما يعلمون على ايجاد الحل الملائم له.

أما تعدد الزوجات: هذا المأخذ المعروف الذي يعيبه البعض على الاسلام، فقد ورد ذكره في السورة الرابعة، حيث يتحدث القرآن عن جواز تزويج أربع نساء إذا استطاع الرجل أن يعدل بينهن، أي أن يقوم بأودهن وان يشملهن بعطفه على قدم المساواة، إذا فتعدد الزوجات ليس من السهولة بما نتصور، ثم لا ننسى ان القرآن نزل والنساء أكثر عدداً من الرجال، فهو يحل مشكلة اجتماعية، لكن المسلم كغيره من معتنقي الأديان الاخرى لا يتزوج عادةً سوى واحدة.

لاحظ ذلك الأدب الجم الذي يتحلّى به الناس في هذه البلاد فالمسلم يحتمل حظه من الحياة وقلبه مفتح بالخشوع لله والإيمان برحمته وعدله لاحظ مظهر الاعتداد بالنفس، وبرغم هذا الاعتداد بالنفس جسداً وروحاً لا يعرف المسلم الغرور الطبقي والترفع على الغير.

فالمسلم المؤمن يعتقد كل الاعتقاد: - أن الله وحده هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الجبار له الأسماء الحسنى.

لا إله إلا الله، له الحمد: هو الخالق المصور، يسبح بحمده من في السموات والارض، وهو القادر الحكيم.

لقد اتخذ المسلم مرشداً لحياته لا يضل، لقد سلم امره في كل شيء وفي شخصه الله.

أن عبارة: انشاء الله، لا تدل كما يظن البعض على عدم الاهتمام، بل تدل على ايمان قوي بالله واعتماد كلي على الله.

العالم كله يعوزه السلام في قرارة النفوس، هذا السلام تهبك اياه العقيدة الاسلامية لا يعرف المسلم الخوف والتشكك والألم النفسي فهو يقر قراره بهدوء في كل مشكلة من مشاكل الحياة مهما كانت معقدة هذه الحياة التي وهبها الله اياها والتي سيسلبها منه، لذا لا يعترف المسلم اثم الانتحار، ولو انه لا يخش الموت.

ليس الاسلام تعاليم الخضوع السلبي، بل هو تعاليم الكفاح والخضوع، فالله يرتب أعمالنا معاشر المسلمين وهو محيط بنا في كل زمان.

ويوم الحساب، سوف يحقق الله عدالته بين الناس، وسوف يقودنا جميعاً إلى الطريق السوي.

ولئن شئنا أن يصلح أمر هذه الدنيا وجب أن اصلح من أمري وان تصلح من أمرك بركة الله وسلامه عليك.

الله اكبر والله الحمد.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ\* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ\* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ\* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ\* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ\* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>(١)</sup>.

(عمر مبارك- الالمانى الجنسية من أهالي هامبورك) المعلن لاسلامه في مصر.  
وهو أحد الضباط العسكريين الذين كانوا تحت قيادة القائد المعروف (هند مبرغ) وله منه اوسمة كثيرة لعقيدته الممتازة، وهو الآن خبير فني في إحدى الشركات العالمية في مصر.

## الاسلام والتوحيد...

الاسلام: وعقيدته التوحيد بالله تعالى، أي الخضوع والتفويض في جميع الامور إلى تلك القوة المدبرة في الكون، المدركة الحكيمة الأزلية القديمة التي يخضع لها كل شيء، ويعنو كل موجود بحكمها وتؤثر في كل شيء ولا يؤثر فيها شيء، وهي: (الله جل شأنه).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ\* اللَّهُ الصَّمَدُ\* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ\* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾. (١)

وهذه هي المعضلة التي استولت على كل لب، والتي كادت النفوس أن تطير شعاعاً إلى استكناها، والوقف على صميم حقيقتها، فتضاربت فيها الآراء، وتمزقت عندها الأهواء.

على عاديات الدهر ناموس حرب سجال، جرت سنة الكون عليه فيما لا يزال أن لا يستنير، ولا يستطير شرر الحقائق إلا بذلك التملك والتضارب، بل هذه هي المسألة التي كادت من وضوحها ان تخفى فاوشكت من حضورها أن تغيب.

---

(١) سورة الاخلاص: ١-٤.

-سبحانه ما أضيّق الطرق إلى الوصول لمعرفته، وإلى هدايته وسبيله لمن لم يكن هو دليله! سبحانه ما أجل شأنه، وأعظم قدره!!.

انه لا يرى، ولا يعلم ما هو؟ وأين هو؟ وكيف هو؟.

ليس له مكان! ولا هو جسم! ولا له هيكل خارجي! ولا يعرف كنه معرفته وذاته إلا هو!!.

تقاصرت العقول والأفهام والمدارك الجبارة عن كنه معرفته!!.

فهو لا يمكن أن يحس بوجوده بأحدى الحواس.

والذين يقولون: بأنه لا معول للعلم إلا على ما يحس بأحدى الحواس الخمس فقد أنكروا عقولهم!

إذ من المتفق عليه انه لو وضع أعظم مجهر (ميكرو سكوب) ونظر خلاله إلى كل خلية من خلايا الجسم، وكل دقيقة من دقائق المادة. وفصل كل جزء من أجزائه، ونفذ إلى أقصى أبعاده، لما أبصر شيئاً من النفس ولا اظهر شيئاً من العقل ولا قبض عليهما.

ولا سمع لهما صوتاً ولا همساً، ولما وجد لهما طعماً يذاق، وعليه فلا وجود للنفس ولا حقيقة للعقل، بل وعليه فلا حقيقة لشيء من شؤون النفس، مجردة، أو جسمانية، فلا إدراك، والخيال، ولا حافظة، ولا ذاكرة، ولا مصورة، ولا مفكرة، ولا لذة، ولا ألم ولا صحة، ولا سقم، ولا جوع، ولا شبع. إذ كل هذه المحسوسات، ولكن لا شيء من تلك الحواس الظاهرة.



فلو قصرنا الأشياء الراهنة على مدركات تلك الحواس، لكننا فرقنا بالعلوم والحقائق في هوة خالق، وخسرت صفة العلم وأهله، وخاب كل إنسان من جدوى عقله.

وهل تحس النفس إلا بآثارها؟.

وهل تعرف إلا بأعمالها؟.

وهل تمتاز إلا بخواصها؟.

تلك الخواص التي تعود بالإنسان قهراً إلى الازدعان بأن هناك كائناً مهما جهلت حقيقته فإنه لا يجهل.

وانه حي موجود مدرك ليس بجسم، ولا من جوهر المادة ولا من حقيقتها، وان حل فيها واستعملها، واستكمل حقيقته باستخدامها، وتوصل بها إلى ما لم يكن يتوصل إليه بدونها.

قال الأستاذ (هرشل):

«كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية.

فالجولوجين والرياضيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده.

وقال (كاميل فلا مريون):

«لقد عجز الأساتذة عن حلّ مسألة استمرار الوجود، ودوامه، ولذلك فهم مقرّون بضرورة وجود الخالق، وتأثيره الدائم المستمر ليتمكنهم تفسير تعاقب الكائنات، وادراك سر وصول الأشياء».

وقال الاستاذ الطبيعي الانكليزي (ميلين ادوارد):

«يجب أن يندهش لما يرى أن أمام هذه المشاهدات الناطقة المتكررة رجالا يدعون لكان كل هذه العجائب الكونية ليست الا نتائج الصدفة، او بعبارة أخرى نتائج الخواص العامة للمادة، واثرتلك الطبيعة التي تكون من الخشب، ومادة الاحجار، وان إلهامات النمل مثل أسمى مدركات القوة الانسانية ليست إلا نتيجة عمل القوة الطبيعية أو الكيماوية ان هذه الفروض الباطلة أو بالأولى هذه الأضاليل العقلية التي يسترونها باسم العلم الحسى قد دحضها العلم الصحيح دحضاً، فان الطبيعي لا يستطيع أن يعتقدّها أبداً، واذا أطال الانسان على وكر من اوكار بعض الحشرات الضعيفة يسمع بغاية الجلاء والوضوح العناية الالهية ترشد مخلوقاتها إلى اصول أعمالها اليومية».

وقال (سبنسر):

«نرى من كل هذه الأسرار التي تزداد غموضاً كلما زاد بحثنا فيها حقيقة واضحة لا بد منها وهي أنه يوجد فوق الأنسان قوة أزلية أبدية ينشأ عنها كل شيء».

وقال العلامة (فوتل):

«ان أهمية العلوم الطبيعية لا تحضر- في فهمه عقولنا فقط، ولكن أهميتها الكبرى هي رفع عقولنا إلى خالق الكون، وتحلينا باحساسات الاعجاب والاجلال الواجب لذاته المقدسة».

وقال العلامة (لبنية):

«ان الله الأزلي الكبير والعالم بكل شيء، والمقتدر على كل شيء قد تجلى لي يدائع صنائعه حتى صرت مندهشاً مهبوتاً، ان المنافع التي نستمدّها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذي سخرها لنا، كما ان جمالها وتناسقها ينبىء عن واسع حكمته، وكما ان حفظها عن التلاشي وتجدها يقر بجلاله وعظمته».

وألصق الأقوال بالصدق، وأقربها إلى الصواب، وأرفعها إلى الاستحسان والاعجاب، قول علامة الطبيعة واستاذ الطبيعيين

(باكون) حيث يقول:

«ان العلوم الطبيعية اذا رشفت بأطراف الشفاه أبعدت عن الله ولكنها إذا شربت عباً أوصلت إليه».

ان هذه الأقوال التي نقلناها من كلمات بعض الفلاسفة الغربيين، هي أدلة واضحة استدلوها بها على ثبوت الصانع الحكيم.

وهناك كثير من أمثال هذه الكلمات التي لا مجال لذكرها في هذا المختصر- لأمثال اولئك الجهابذة الروحيين، والأساتذة الطبيعيين على انهم من أكابر

الآلهيين مثل:

٨٤ ..... الأيمان والعلم الحديث

«وليم طمسن، أون، دوسن، غراي، كرينتر، فولتير، لوك، هيوم،  
شافقسبري، ليسنج، مندلسون، جوتيه، برناردشوب... الخ.

## إثبات المعبود

لزيادة الايضاح والتأكيد في اثبات وجوده الذي هو خليق وجدير بأن يكون معبوداً لهذه الانسانية، ومصدراً للهداية السماوية، ومنبعاً لكل فضيلة، ووسيلة لكل خير وحسنة، ومرشداً لكل ما فيه الخير والرفاه والسعادة الأزلية الأبدية، نورد في هذا الفصل بعض الأدلة والبراهين العقلية والعلمية التي لا يمكن أن يرفضها ذوو العقول، وأولو الألباب وهي:-

١- : أن كل نفس لا تخلو من جهتين:

أما أن تكون هي التي صنعت نفسها وكانت موجودة، أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كانت صنعتها وهي موجودة فقد استغنت بوجودها عن صنعتها، وان كانت معدومة فانك تعلم ان المعدوم لا يحدث شيئاً فلا بد من وجود صانع صنع الأشياء ولم يصنع.

٢-: لا بد لكل مصنوع من صانع:

فكيف يمكن أن تخلق السماوات بما فيها: من النجوم والكواكب والاقمار والشموس، والأرض وما عليها من الحيوانات والنباتات وما في باطنها من الماء والمعادن فلا بد من وجود من خلقها وسواها وهو الله تعالى.

٣- كيف تكونت أجسام الحيوانات بهذه الصناعة البديعة؟.

ولأيّ المقاصد وضعت أجزاؤها المختلفة؟.

هل يعقل أن تصنع العين الباصرة بدون علم بأصول الأبصار ونواميسه والأذن بدون المام بقوانين الصوت؟.

كيف يحدث أن حركات الحيوانات تجدد بارادتها؟.

ومن أين هذا الإلهام الفطري في نفوس الحيوانات؟.

فانه هذه الكائنات كلها في قيامها على ابداع الأشكال وأكملها، ألا تدل على وجود من هو منزه عن الجسمانية، حي حكيم، موجود في كل مكان، يرى حقيقة كل شيء في ذاته، ويدركه اكمل ادراك؟ فطبعاً ذلك هو الله جل شأنه.

٤- من الجلي الواضح بأنه لا يوجد أي سبب طبيعي استطاع أن يوجه جميع الكواكب وتوابعها للدوران في جهة واحدة وعلى مستوى واحد بدون حدوث أي تغيير يذكر، كما يصرح بهذا جميع العلماء والفلكيين بالنظر لهذا الترتيب يدل وجود حكمة سيطرت عليه وتلك هي (الله تعالى).

٥- أن تكوين الاجرام السماوية التي استطاعت الذرات المبعثرة ان تنقسم إلى قسمين:-

القسم المضيء منها انحاز إلى جهة لتكوين الأجرام المضيئة بذاتها كالشمس والنجوم. والقسم المعتم تجمع في جهة أخرى لتكوين الاجرام المعتمة كالكواكب المعتمة وتوابعها (الثابت في علم الفلك) لا يعقل حصوله كما هو الظاهر إلا بفعل عقل لا حد له وهو الله عظمت قدرته.

٦- في مثل هذا العصر العلمي الذي وصلت درجة العلوم والمكتشفات والمخترعات إلى أعلى مراتبها، وبلغت أقصى- حدودها، بما أوجدها تلك العلوم من الأشياء والأدوات والآلات التي تحير العقول، فأنها لم تتوصل ولن تتوصل إلى خلق الإنسان أو الحيوان أو نبات بتركيبه الحقيقي قادر على القيام بمميزات الاحياء أو لاكتشاف ما يدفع عن الإنسان خطر الموت.

فينظر من هذا كله أنه لا بد لوجود قوة جبارة قادرة فوق القوة البشرية المنصورة متصفة بصفات أرقى مما يمكن أن يتوصل البشر- إلى معرفتها والتي أحدثت هذا العالم وهي (الله جل شأنه).

٧- من المحقق ان الحركات الحالية للكواكب لا يمكن أن تنشأ من مجرد فعل الجاذبية العامة، لأن هذه القوة تدفع الكواكب نحو الشمس فيجب لأجل أن تدور هذه الكواكب حول الشمس ان توجد يد ألهية تدفعها على الخظ المماس لمدارها.

٨- ان الممكنات الموجودة سواءً كانت متناهية أو غير متناهية قائمة بوجود، فذلك الوجود أمّا أن يكون مصدره ذات الامكان وما هيئات الممكنات وهو باطل لأنه من الماهيات الممكنة يمقتضى الوجود.

فتعين أن يكون مصدره سواها وهو الواجب بالضر-ورة وهو الله سبحانه وتعالى.

٩- أن جملة الممكنات الموجودة ممكنة بداهة وكل ممكن محتاج إلى سبب يعطيه الوجود.

فجملة الممكنات الموجودة محتاجة بتمامها إلى موجود لها، فاما أن يكون عينها وهو محال لاستلزامه تقدم الشيء على نفسه، وأما أن يكون جزءها وهو محال لاستلزامه أن يكون الشيء سبباً لنفسه، ولما سبقه أن لم يكن الاول ولنفسه فقط، فان فرض الاول وبطلانه ظاهر لذا وجب أن يكون السبب وراء جملة الممكنات، والموجود الذي ليس ممكن هو الواجب إذ ليس وراء الممكن إلا المستحيل، والواجب والمستحيل لا يوجد فيبقى الواجب.

فثبت ان للممكنات الموجودة موجداً واجب الوجود وهو الباري جلت قدرته.

١٠- لما كان العالم حادثاً وانه لم يوجد من ذاته لأن الحصول على الوجود حدث يقتضي- له الفعل، فمن الضرورة أن يكون موجوداً أو لا أو غير العالم أخرجه من العدم إلى الوجود.

ومن استحالة التسلسل إلى ما لانهاية له يحكم العقل على أن هذا الوجود الذي أوجد العالم وما فيه هو موجود اول الواجب الوجود بذاته وهو مبدأ كل موجود وهذا الموجود الأول وهو الذي ندعوه (بالله تعالى).

١١- أن أول إنسان نشأ في حضن الطبيعة ومتع النظر في هذا الكون الفسيح أذعن لأول وهلة إلى أن له مبدعاً أبدعه وموجوداً أو جده وذلك الفجر الذي يطرأ عند اهتمامه بأمر نفعه الذاتي ودرأ الكوارث الطبيعية عن نفسه مهما توسعت لديه الحيلة وحصوله على ما لم يكن يحسبانه من غير داع وسقوط ما في يده بعد اشد الحرص عليه بالرغم عنه واخضاعه لمن هو



أشد منه قوة فمن هذه النقائص وفسخ العزائم ونقض الهمم ونظائرها علم بأن لهذه الارادات الخفية، والالهامات الغريبة مريداً يصرفها بمشيئته وذلك المريد الفعال هو الله الخالق.

١٢- ان نشوة الأزهار الجميلة الزاهية بألوانها ذات العطور الشذية من تلك المادة الجامدة التي لا حس لها ولاحرك وحدث الاثمار اللذيذة الشهية من ذات هذه الجامدة على ما فيها من اريج فواح والتي حيرت عقول علماء الطبيعة، اذ لا يدرون كيف تستحيل هذه المواد الأرضية إلى اجزاء حية صالحة، لأن تكون اجزاء النباتات العفنة كيف لا يأخذ كل نبات إلا المواد الضرورية له دون سواه، مع ان المواد كلها موجودة في التربة على السواء. فهل جاءت كلها على سبيل الصدفة العمياء؟

كلا! بل لا بد أن يكون لها من يدبرها وهو الله المدبر الحكيم.

١٣- لو دققنا بنظر الاختبار والتفحص بيضة طير من الطيور ولاحظنا الطبقات التي تحتوي عليها تلك البيضة من قشرة كلسية خارجية صلبة لحفظها من الطوارىء الخارجية وقشرة خفيفة هلامية ثابتة ثم طبقتي الأح والمح اللذين لا يختلطان ولا يمتزجان معاً مهما اهتزت البيضة ورجت ومهما بقيت وفي أي مكان وضعت.

فما هي يا ترى تلك القوة التي تحول دون امزاجها والتي سببت تركيبها على هذا الترتيب والتنسيق والنظام؟.

٩٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

وما هي تلك القوة التي تخرج من هذه البيضة البسيطة التي لا يمكن رؤية أي شيء منها بأية آلة كانت سوى ما ذكر من طبقاتها الملونة البيضاء والصفراء ذلك الطائر الجميل الريش كالتاوس مثلاً أو ذلك الطائر المغرد الجميل كالبيغاء.

أهي الطبيعة أو الصدفة؟.

كلا! ثم كلا! إذ لو فكّر ملياً لوجد أنها هي: (الله القادر الباري المصور).

١٤- لو وضعت قطرة من تلك المادة العفنة الا وهي (المني) تحت المجهر لما ظهرت فيها إلا تلك الحيوانات المنوية.

فلو فكر الانسان في تلك القوة الجبارة التي تجعل من هذه القطرة المنوية العفنة التي ليس فيها إلا ما هو أشبه بالعلق الصغير ذلك الطفل ذو اليدين والرجلين وذو الحواس الخمس الذي تحير خلقته العقول ثم يبدأ هذا الطفل رويداً رويداً بالنمو والتكامل حتى يصبح إنساناً.

أيمكن العقل ان يصدق بانها صارت على سبيل الصدفة وعلى منهاج الطبيعة؟.

أليس هناك ما يجب ان يصدقه العقل من القوة الكامنة في ما وراء هذه الطبيعة التي خلقت منها الانسان؟ والتي تدبر اموره وتسير شؤونه في الحياة؟. فان تلك القوة العظيمة الحكيمة المدبرة الخالقة هي (الله تعالى) جلت قدرته.

١٥- ان من عرف حقيقة الواجب والممكن عرف بأدنى فكراته لو لم يكن في الوجود واجب الوجود لم يكن لشيء من الممكنات وجود أصلاً لأن

الموجودات حينئذ كلها تكون ممكنة والممكن ليس له من نفسه وجود ولا لغيره عنه وجود فلا بد من وجود واجب الوجود لتحصيل وجود الممكنات منه.

١٦- نستطيع بناموس رياضي لا يتبدل ان نقيم الدليل على ان العقل الذي وضع نظام الكون ونفّذه عقل مهندس حكيم.

فأن الشمس التي هي مصدر حياتنا تبلغ حرارتها عند سطحها (٦٧٠٠) درجة مئوية، وقد بلغ بعد ارضنا عنها المبلغ الكافي اللازم لجعل تلك (النار الخالدة) كافية لنا، لا تزيد ولا تنقص عما نحتاج إليه ولو كان اشعاع الشمس نصف ما هو عليه لضربنا بالجمد، ولو زاد خمسين بالمائة عما هو الآن لأنضجت جلودنا الحرارة.

وميل الأرض البالغ (٢٣) درجة هو الذي يحدث فصول السنة، فلو لم يكن ميله على ما هو لتحركت الأبخرة المتصاعدة من سطوح المحيطات نحو الشمال ونحو الجنوب ولكونت منها قارات من الجمد.

ولو كا بعد قمرنا (٥٠) ألف ميل بدلا من (٢٨٦) الف ميل لبلغ المد والجزر مبلغاً هائلاً يكفي ان يغمر القارات جميعاً بالماء مرتين كل يوم ولتفتت الجبال منذ أماد طويلة- ولو كانت قشرة الأرض اسمك مما هي الآن بعشرة اقدام، لما وجدنا في الجو اكسجيناً، وبغير الاوكسجين يموت كل حي من الحيوان على الارض- ولو كان المحيط اعمق مما هو الآن يضع اقدام، لامتص كل اوكسجين وثنائي اوكسيد الكربون ولتعذر نمو النبات- ولو كان جو الارض ارق مما هو

لتهاوى بعض النيازك على شتى انحاء الارض فتضرمت النيران فيها، بدلا من ان تحترق وتذوب في الجو وهو ما يحدث الآن.

فهذه الامثلة وكثير غيرها تثبت على ان احتمال ظهور الحياة على الارض مصادفة لا يبلغ واحداً من ملايين وتؤكد لذوي الالباب وجود ذلك المهندس الحكيم وهو الله جلت عظمته.

١٧- ان سعة حيلة الحياة في تحقيق اغراضها يدل على تدبير عقل منبث في خلالها جميعاً.

فلم يستطيع انسان ما ان يدرك كنه هذه الحياة فهي لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا كثافة، ولكنها تنطوي على قوة فالجذر النامي مثلاً يشق الصخر شقاً، وقد تغلبت الحياة على الماء واليابسة والجو، وسيطرت على العناصر ففرضت عليها ان تنحل ثم ان تعيد تركيب مؤلفاتها.

والحياة مثال يخلق اشكال جميع الاحياء، وفنان يرسم كل ورقة على شكل شجرة، يلون كل زهرة، والحياة موسيقى قد علمت كل طائر ان يغرد تغريد الحب، وأهملت الحشرات ان تدعو بعضها بموسيقى اصواتها العجاجة.

والحياة هي الكيمياءى الاكبر، تمخ الثمار والافاويه طعمها ومذاقها والورد عطره- وتحول الماء وحامض الكوربونيك الى سكر وخشب، وتطلق الاكسيجين حتى تستطيع الحيوانات ان تتنفس نسيمات الحياة.

ونظرة إلى نقطة لا تكاد ترى من البروتوبلازمة (المادة الحية شفافة كالهلام، قادرة على الحركة تستمد الطاقة من الشمس.

فهذه الخلية الوحيدة، هذه القطرة الصغيرة الشفافة التي تبدو كأنها نطفة دقيقة من ضباب تنطوي ثناياها على جرثومة الحياة، وتقدر ان تنفث هذه الحياة في كل شيء حي، كبيراً كان أو صغيراً، وقدرة هذه النطفة هي اعظم من نباتنا وحيواننا وبشرنا، لان الحياة نبتت منها فالطبيعة لم تخلق الحياة اما الصخور التي صهرتها النار، واما البحر الذي لاملح فيه فلم يكن في وسعها ان يهيئ الاحوال اللازمة لظهور الحياة.

فمن الذي اوجدها في الارض (غير الله تعالى) ؟

١٨ - ان حكمة الحيوان تنطق بلسان لا ترد حجته بان لها خالقاً كريماً بث الغريزة في حيوانات صغيرة كانت لولا هذه الغريزة لكانت احياء عاجزة.

ان سمك السلمون الصغير، يقضي سنوات في البحر، ثم يعود إلى نهره، ويشق طريقه في النهر على الجانب الذي يصب فيه الجدول الذي ولد فيه.

فمن يرجعه إلى مسقط رأسه بمثل هذه الدقة العجيبة؟.

واذا نقلته إلى جدول آخر غير جدول له ادرك من فوره ان ضل طريقه فيكافح لكي يعود إلى مجرى النهر الكبير ثم ينقلب مواجهاً تياره ويمضي حتى ينتهي إلى غايته على أدق وجه.

والزنبور بقهر الجدجد ثم يحفر حفرة صغيرة في الأرض ويلدغ الجدجد حيث ينبغي له أن يلدغه حتى يموت بل لكي يفقد وعيه ويظل حياً يصلح للأكل، فكأنه لحم محفوظ، ثم تضع انثى الزنابير في المكان الصالح حتى اذا انفلقت عن صغار الزنابير استطاعت أن تأكل من الجدجد دون أن تميته فان لحم

الجدجد الميت يقتلها ثم تطير الأم وتموت فلا تقع عينها على صغارها أبداً ولا بد أن تكون أنثى الزنابير قد أتمت كل هذا على اوفى وجه وأدقه منذ المرة الأولى وفي كل مرة، ولو لم تفعل ذلك لما كان في الدنيا زنابير. ولا يسعنا أن نعلل هذه الأساليب الغامضة بالتكيف والملائمة بل هي ممنوحة منه سبحانه وتعالى.

١٩- في الانسان شيء اكثر من غريزة الحيوان ذلك هو قدرة العقل التي تبرهن للانسان انها لم تخلق صدفة بل خلقها خالق عظيم الشان وهو الله، اذ ليس في آثار الحيوان ما يدل على أن احداً منها استطاع أن يعد إلى العشرة أو أن يفهم معنى عشرة، واذا تصورت ان الغريزة لحن واحد على مزمار، لحن جميل لكنه محدود، فان دماغ البشر يحوي جميع الألحان التي تخرجها جميع آلات الموسيقى في فرقة كاملة، ولا حاجة بنا إلى التوسع في هذه المسألة، فبفضل العقل البشري نستطيع أن نتأمل في الرأي القائل باننا ما بلغنا، لأننا تلقينا قبساً من ذلك العقل الشامل.

٢٠- ان تدبير أمر الأحياء جميعاً يتجلى في ظاهرات تدركها اليوم والكن (تشارلز داروين) كان لا يدركها مثل عجائب عوامل الوراثة وهذه العوامل تبلغ من الصغر مبلغاً لا تدركه العبارة فلو جمعت العوامل التي يرجع إليه جميع البشر الأحياء في العالم اليوم ووضعتها في مكان واحد لكانت أقل من جوزة صغيرة، بيد ان هذه العوامل التي لا تكشفها عدسة المجهر وصاحباتها الصفيات (الكروموسومات) مستقرة في كل خلية حية، واليها مرد اسرار الخواص التي يتصف بها جميع البشر والحيوان والنبات.

فاعجب الخواص ألفي مليون من البشر تحشد في مكان صغير لا يزيد على حجم الموزة، غير أن الحقائق شيء لا مرء فيها، فكيف إذا- تستطيع عوامل الوراثة ان تدخر في مكان دقيق الصغر، وراثه حشود من أسلاف البشر، وتحفظ على كل فرد خصائص نفسه.

هنا يبدأ التطور حقاً- في الخلية، في الوحدة التي تنطوي على عوامل الوراثة وتحملها، أما كيف تستطيع بضعة ملايين من الذرات منطوية في عامل من عوامل الوراثة التي لا يتبينها المجهر، أن تسيطر على جملة الحياة على ظهر الارض، فمثل الحكمة الخفية والتدبير الدقيق المحكم الذي لا يمكن أن ينبثق إلا من عقل خالق مبدع، وليس ثمة قرض آخر يصلح لتعليل ذلك.

٢١- ان ما نراه في الطبيعة من أساليب التدبير يقسرنا على أن نرى ان حكمة لا حدود لها هي وحدها القادرة على ان تنفذ الغيب وتدبر الامر بمثل هذه القدرة الرشده.

٢٢- ان قدرة الانسان على ان يتصور فكرة وجود الله هي نفسها برهان فذ على وجوده تعالى.

فان هذا التصور ينبثق من قدرة علوية في الانسان، لا يشاركه فيها سائر الاحياء- هي قدرة التخيل، وبها يستطيع الانسان دون غيره من الأحياء، ان يجد الدليل على اشياء لا يراها، وان الآفاق التي تفتحها هذه القدرة أمام عينيه هي آفاق لا حدود لها، والحق أن تخيل الانسان اذا ما دنا من مراتب الكمال، وصار حقيقة روحية، استطاع أن يتبين به من خلال دلائل النظام والقصد في الكون

تلك الحقيقة العظيمة إن قدرة السماء في كل مكان وكل شيء وان الله في كل مكان وعند كل شيء ولكنه أدنى ما يكون الينا في قلوبنا.

ان الثلوج التي تذوب على قمم الجبال تصبح جداول وانهارا متدفقة وهي في طريقها منحدره إلى البحر، وهي تنحدر استجابة لناموس لا يرد هو ناموس الجاذبية، اما في التطور فان الحياة لم تنحدر إلى أسفل، بل ترفقت صعوداً يستحثها ناموس لا يرد كناموس الجاذبية، ومنذ كان العالم صعدهت الحياة في هذا المعراج، فبدأت مادة لا شكل لها ومضت علواً حتى صارت انساناً له عقل وضمير.

فهل عمي العلم عن البيئات التي تدل على النهج والنظام في التطور؟

كلا! فان الحياة في ترقبها المتواصل، كثيراً ما خالفت نوااميس الاحتمال الثابتة، حتى لترى أشد الماديين عناداً مضطراً إلى التسليم بوجود قوة مجهولة. ولم يكن للماديين بد من أن يطلقوا اسماً على هذه القوة المجهولة لكي يتمكنوا من ان يدخلوها في نطاق تفكيرهم.

ولما كانت جوانحهم منطوية على نفور من اسم الله سبحانه وتعالى وصفوها بقولهم (عدو المصادفة) وما داموا يعترفون بوجودها فليسموها ما شاءوا.

وقد ظلت الحياة تعمل الف مليون سنة إلى أن صار الانسان مخلوقاً مفكراً وهي خاضعة لسيطرة حافظ أصيل هو حافظ البقاء، ثم ظهر خلق جديد من البشر ظهر أنه خاضع لقوة جديدة- فكرة الخير والشر- التي يبذلون المهج في سبيلها.



ويقول (دي نوي) ان هذه الفكرة كانت كأنها هي صوت القوة السرمدية تخاطب النفس البشرية فتقول:

«لقد بقيت حتى اليوم ولاهم لك إلا العيش والتناسل، فكننت تقتلين وتسرقين الطعام او الازواج ثن تنامين ملء الجفون بعد ان استسلمت لدواعي عرائذك ولكنك منذ اليوم ستكافحين هذه الغرائز، فحرام عليك أن تقتلي، او تسرقني، او تشتتهين ما في يد سواك».

«وحرام عليك أن تنامي ملء الجفون، إلا إذا نمت لك الغلبة على نفسك، وسوف ترضين العذاب والتضحية بالحياة دون أن تتخلي عن مثلك العليا، ولن تكون أهدافك العليا منذ اليوم أن تأكلي وتعيشي، بل سوف تبصرين على الجوع والموت في سبيل اغراض نبيلة ولا يدلك من ان تكوني نبيلة، لأن ذلك هو ارادة الحي الجديد الذي انبعث فيك فعليك ان ترتضيه سيداً لك ولو قمع شهواتك».

ليس الانسان آخر مرحلة في معراج التطور، وانما هو في مرحلة متوسطة بين الماضي وما يحفل به من ذكريات الوحش، وبين المستقبل الحافل بآمال النفس.

ولن يكون تقدمنا منذ اليوم تقدماً بديناً بل تقدماً روحانياً، وسوف يتحرر الانسان المستقبل تحراً تاماً من البشرية المدمرة- من الاثرة والطمع وشهوة السلطان، وسوف يستمتع بملذات الجسد دون أن يكون عبداً لها. فالانسان سينطلق من أسار الجسد وينجو من رقه.

ومن الواضح أن زمام التطور في المستقبل سيكون في أيدي الاخيار من الناس، ولكن ما هو الخير، وما هو الشر؟.

أما الماديون فينكرون وجود الخير والشر.

وأما (دي نوي) فلا يكتفي بتوكيد وجودهما، بل يسعى إلى تعريفهما أيضاً.  
ان معيار المطابقة بين الحي وبيئته هو المنفعة، وأما الأحياء التي تتطور  
فمعيارها هو الحرية- الحرية من القيود المهلكة.

ومنذ كان التطور في مهده، كان هذا الفرق هو الامتحان للفريقين في مدارج  
الرقى، والأحياء التي تنشأ الحرية هي الأحياء التي سارت بالحياة إلى العلى، قال  
(دي نوي):

«ان التطور هو التقدم من حالة غير مستقرة إلى حالة غير مستقرة فلو لم نلق  
الحياة من الأحياء سوى المطابقة التامة الثابتة لهلكت».

وأهم ما في الأمر هو أن الانسان قد بدل سيده المطاع، لقد كان في البداية  
عبداً للنواميس الطبيعية الكيماوية البيولوجية، أما اليوم ففي وسعه أن يفكر  
تفكيراً مستقلاً، وقد كان اسلافه جميعاً ممثلين مسيرين في رواية لا يفهمونها، أما  
اليوم فنجد الانسان يريد أن يفهم الروايات كلها.

فقد صار قادراً على أن يرقى بنفسه إلى الكمال، فأفكار الجمال التي تخطر له  
ورؤيا الجمال التي تولد فيه يستطيع أن يحيلها شيئاً مجسماً بيديه، وهو يخترع  
ويتعلم، و صار لا يكتفي بأن تشبع شهوة من شهواته.

ومع ذلك فهو لا يزال حيواناً على الأكثر، فلذلك تراه مضطرباً محيراً.

ان صوت ضميره الوليد، يناقض الأوامر المتقدمة التي يتلقها ويلقي عليه  
أوامر جديدة فهل من العجب أن يثور؟ انه كالجواد الجموح يثور على الشكيمة-

بيد أنه يختلف عن الجواد في انه هو الذي فرض على نفسه وضع هذه الشكيمة، وهو مع ذلك حر ان يلبسها أو ان يدعها، ولما كانت السيطرة على النفس قائمة على حرية الاختيار بين الخير والشر فأنها تلد الكرامة البشرية، والكرامة هي هدف التطور.

ويقول (دي نوي):

ان في الوسع أن نستعجل هذا التطور بمعونة مخ الانسان - أعظم أسحلة الانسان -.

فقد قضت الحيوانات دهوراً طويلاً صار لها اجنحة، بيد ان الانسان غزا رحاب الفضاء في ثلاثة أجيال.

وبفضل مخ الانسان أتسع مدى حواسنا اتساعاً لم يخطر لنا في حلم، فنحن نستطيع أن نرى المتناهي في الصغر والمتناهي في البعد جميعاً، وقد اختصرنا المسافات حتى صارت كأنها ليست شيئاً مذكوراً، وصدقنا الوقت حتى كأنه لا يتحرك.

بيد ان هذه القوة الفكرية الطبيعية تزيد التبعات الملقاة على كواهلنا.

فنحن احرار في أن نمضي قدماً او ان نعود انفسنا موارد الهلاك ان كثيرين من الناس ينظرون إلى المخترعات الحديثة كأنها دلائل الحضارة الحققة، بيد أن مثلنا الأعلى ينبغي أن يكون كرامة البشر لاراحتهم واذا لم يخضع العقل للضمير، أساء الاختيار بين الخير والشر.

١٠٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

فالعقل يشير بالمطابقة للمألوف والملائمة والتراخي، ولن يشير بالثورة والمقاومة والتطور.

وانك لا تجد في تاريخ البشر رجلاً ذهب شهيد الرأي المتزن ولذلك نرى الذكاء وحده خطراً، فهو وحده الذي صنع القنبلة الذرية.

وإذا الناس يدركون ان ظفر العلم يهدد أمنهم وسلامهم، فصار الصراع بين الذكاء والمبادئ الأخلاقية مسألة ممات أو حياة للناس.

ومما يؤسف له ان هناك كثيرين من الناس لا يزالون يعدون الانسان حيواناً راقياً لا أكثر، ولذلك تراهم لا يتبنون سوى حلول حيوانية لمشكلات البشر.

فهم في ميدان السياسة يريدون ان يجندوا الناس ويعتبروهم كالحشرات، وقد فعل الطغاة ذلك في ارجاء واسعة من سطح الأرض، منكرين على الانسان اية قيمة او عمل يفوق عمل اليعاسيب في خلية النحل.

بيد ان ارادة تلك القوة التي يسمونها (عدو المصادقة) ثم نهج التطور العظيم، يقتضيان ان يبقى الانسان حراً لكي يتطور في مدارج الارتقاء، لا أن يسام الخسف والتسخير.

فينبغي ان تجل الشخصية البشرية، لأنها تعمل للتطور وتجري طوعاً لارادة الله.

وقد يسأل الكثيرون: «اذا كنت تؤمن بوجود الله، فكيف تراه يأذن بكل هذه الشرور التي نبعت في الأرض؟».

وهذا السؤال يدل على ان النظرية الجديدة قد اسيء فهمها ففي بدء التطور كان التقدم كله يتم بارادة الله وحده، أما اليوم فقد جعل الله للفرد اثراً في التطور، فإنه سبحانه يوم وهب الانسان ضميراً وإرادة حرة نفخ فيه من روحه. وهذه الحرية التي وهبها الله لعباده حقيقه واقعة يتعالى الله سبحانه عن الحد منها.

واذا علمنا بأن هناك قوة عليا خلقت نواميس الحياة فينبغي ان نعلم ان هذه القوة الخالقة لم تحول دون تنفيذ هذه النواميس.

فالطبيعة ليست متهافته غير متماسكة، ولكن الانسان جاهل، ولا يزال الطريق امامه طويلاً.

ومن هنا ترى الرجل الذكي محيراً لأنه لا يستطيع ان يدرك الله الذي لا تدركه الابصار على صورة يفهمها؟.

ففي هذا العصر عصر العلم، يسهل الاقناع بدرك ذلك.

فهذا الذي يستطيع ان يتصور الألكترون؟.

وكل عالم يقول الالكترتون شيء لا يمكن تصوره؟؟؟ يسعك ان ترسم شكله، وليس ثمة رجل قد رآه!!.

فالألكترون الذي لا يرى موجود وان تعذر علينا ان نتصوره فما ظنك بالله الذي لا تدركه الابصار، والذي ليس كمثله شيء.

كيف يستطيع المرء من الناس ان يساهم في التصور المقبل؟.

اننا نعرف قوانين الأخلاق، وفي وسعنا ان نلتزمها، وأهم من هذا اننا نستطيع أن نعود إلى العادة القديمة، عادة تهذيب الشباب وتقويم أخلاقهم. وكما قال الاستاذ (خلتون ارسلو):-

«فالكفاح من أجل المستقبل ينبغي أن يبدأ في المدرسة لأن التعليم سلاح من أسلحة التطور، ولو علم الحق جميع مدارس الدنيا لما قامت الدول.. الجامعة». ونحن نرى صغارنا اليوم يحشون عقولهم بتفاصيل لا تجدي، اما الاخلاق التي لا غنى عنها فيمرون بها مر الكرام، فكأنك تعلم الزراع أن يزرعوا الأزهار دون أن تعلمهم كيف يحرثون الارض، فلم لا يفكر أحد في تعليم الخلق للصحار؟ العالم كله ليدرك حقاً عظمة المزايا التي تعود عليه يوم يكون اكثر سكان الدنيا أهلاً للثقة.

ان ناموس التطور، هو اليوم كما كان منذ الأزل كفاح نحو العلى والكفاح لم يفقد شيئاً من حدته وعنفه، لأن ميدانه قد انتقل من المادة إلى الروح ونحن البشر نفحه من روح الله. ونحن أحرار في أن نهملها أو نخمدها، أو أن نقرب من عرش الله بما نبديه من رغبة في طاعة أمره.

يقول الدكتور (روبرت ميليكن) الحائز جائزة نوبل في علم الطبيعة (وضع الدكتور «لو كونت دي نوي») نصب عينيه وهو يؤلف كتاب «مصير البشر» أن يأتي بالبراهين العلمية على زيف الفلسفة المادية، ولست اعرف أحداً سبقه إلى هذا، وما من أحد يستطيع حتى أن يحاول حمل هذا العبأ ما لم يتمرس بأحدث مكتشفات الرياضة والطبيعة والكيمياء وعلم الاحياء ووظائف الاعضاء.

إثبات المعبود..... ١٠٣ .....

انه رجل يبني للحق في العلم والدين. وكتابه من القوة والسداد بحيث لا يكاد يتيسر ظهور مثله اكثر من مرة او مرتين في قرن واحد.

ففي الكتاب هذا تجد عالم الأحياء (لو كونت دي نوي) ييسط للناس ما تبينه من دواعي الايمان في ثنايا روائع التطور العضوي.

فهو واحد بجانب الكثيرين غيره من علماء الطبيعة والاحياء الذين يجدون في كل حقيقة من حقائق العلم الحديث برهاناً قاطعاً لوجوده تعالى، وسيلاً موصلاً إلى الايمان بكونه سبحانه وتعالى وهو يرشد كل ضال إلى الاذعان بقدرته وعظمته وبأنه موجود ووجوده قبل كل وجود وسيبقى بعد الموجودات كلها اذ يفنى كل موجود وهو الحي الذي لا يموت.

وأمثال هؤلاء العلماء يحاولون اليوم عن طريق العلم والمنطق أن يثبتوا للناس ما كان مثاراً للجدل من المعاني السامية التي تاقّت أليها النفوس البشرية منذ أول عهدها بالحياة.

كحرية الارادة، ومعنى الحياة، والخلود، ووجود الله سبحانه وتعالى.

فيجعلونها حقائق لا ممارسة فيها.

وفي كثير من الامور الحياتية، والحوادث البديهية، أدلة واضحة لمعرفة محدث الحادثات، ومغير المتغيرات، ومقلب الأوقات، وخالق الأرضين و السماوات.

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>؟

---

(١) سورة ابراهيم: ١٠.

والحق فلا يمكن أن يشك بوجوده من تدبر وتفكر في كل ما يحيط به إلا من لهم قلوب لا يعقلون!.

-أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟-

-متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟-

-ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصلني إليك؟-

-عميت عيت لا تراك ولا تزال عليها رقيباً!!-

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفراً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup> وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الزمر: ٢١.

(٢) سورة الملك: ٣٠.

(٣) سورة الذاريات: ٢٠-٢١.

(٤) سورة آل عمران: ١٩٠.



## بعثة الرسل...

يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله تعالى قد أرسل رسلاً اصطفاهم من بني آدم، وأرسلهم إلى الناس مبشرين ومنذرين ومبينين لهم ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

ذلك ما يجب الايمان به اجمالاً، وهناك أنبياء ذكرهم الله في كتابه الكريم يجب الايمان بهم تفصيلاً، فمن أنكر واحداً منهم فانه يكفر بالاسلام، ومنهم ثمانية عشر ذكرهم الله في آية: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾<sup>(١)</sup>.

في سورة الانعام وهم: إبراهيم، إسحاق، ويعقوب، نوح، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، عيسى، الياس، اسماعيل، اليسع، يونس، لوط، والباقون سبعة ذكروا متفرقين في القرآن الكريم وهم: إدريس، هود، شعيب، ذو الكفل، آدم، سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

يتضح من هذا ان الرسل قد أرسلهم الله إلى عبادة، وبين لنا في كتابه الكريم بعضاً منهم ليكونوا صلة بين الانسانية وهداية السماء.

---

(١) سورة الانعام: ٨٣.

ووظيفة الرسل - عليهم السلام - من أشق أعمال البشر، لأنهم مكلفون بتبليغ الناس ما يخالف معتقداتهم وعاداتهم، ويقيدهم في شهواتهم ولذاتهم، ومن يفعل ذلك فإنه لم يعرض نفسه إلى التكذيب الناس فحسب وإنما هو قد عرض نفسه لأشد الأخطار، وأعظم البلواء، فلولا تأييد الله لرسله لما قامت لهم قائمة ابداً، فالحق ان نجاح الرسول وقيام أمره وثباته معجزة واضحة الدلالة على صدقه.

ألا نرى انه لم يفلح أحد ممن ادعى الرسالة كاذباً، وكان له بين الناس منزلة السخرية والاستهزاء، فمعجزة الرسل الذاتية هي ثباتهم على دعواهم، واحتمالهم اضطهاد قومهم، ورضائهم بالتعذيب والآلام يكيلها لهم قومهم، وانصرافهم عن الأعراض الدنيوية ولذاتها، وغيرتهم الشديدة على مصالح الأمم، وهدايتهم من غير ان يكون لهم مطمع في جاه أو أمل في سلطان، أو رغبة في شهوة، تلك هي صفات الرسل الذين تثبت رسالتهم.

أما ما عدا ذلك من خوارق العادات فقد كان لازماً للرسول عند الضرورة، لأن الله الذي ارسلهم هو خالق الخلق وقد جعل سبحانه الاسباب مرتبطة بمسبباتها فهو وحده الذي يمكنه ان يخرق ذلك النظام فيوجد السبب بدون سببه او يوجده بسببه من غير أن يظهر للناس ارتباطه به، فالله سبحانه هو الذي يخلق المعجزة مباشرة بدون واسطة، ليبين للناس صدق رسله، ويفتح لهم باب النظر فيما جاءوا به ويلفتهم إلى انهم مؤيدون من عنده، ولهذا كانت المعجزات في النوع الذي اشتهر فيه المرسل اليهم ونبغوا في معرفته.

بعثة الرسل ..... ١٠٧

فموسى - عليه السلام - قد جاءهم بعصاه التي تنقلب ثعباناً عند ما يريد منها، وذلك يشبه ما نبغ فيه قدماء المصريين من السحر، فلما عجز علماءؤهم عن مجاراته ايقنوا ان ذلك من لدن الله القدير.

وكذلك عيسى (عليه السلام) فانه أحيا الميت لأنه قد كان للطب شأنه في زمانه.

كذلك سيدنا محمد ﷺ فانه جاء بالقرآن لأن البلاغة والفصاحة كانت من صناعة العرب المعروفة.

وقد وصف القرآن الكريم اسلوب ارشاده ﷺ بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(١)</sup>.

فارشاده ﷺ أشرف ارشاد عرفه العالم منذ أن ظهر في العالم المرشدون والرسل الذين كان ارشادهم عن وحي آلهي.

وقد تولى الرسول ﷺ الارشاد بجميع الطرق والكيفيات فأرشد بالقول، وبالفعل، وبالتصريح، والتعريض باللفظ، والكتابة، والاشارة، وفي حالتي الحصر والسفر، وفي حالي الصحة والمرض كل ذلك بنفسه.

وأرشد كذلك بالوسائط بتوجيه القضاة والمرشدين والمبلغين، والارشاد بالقول هو أهم طرق الارشاد، وفيه تظهر صفات ارشاد الرسول ومميزاته، وهو ابقى طرق الارشاد، لأن فيه الارشاد بالقرآن، وهو أنفذ كلام في الارشاد،

(١) سورة النحل: ١٢٥.

لأنهفاق افضل كلام العرب، وكان أدخل في نفوسهم من كل كلام بليغ حكيم لما تفرد به القرآن من غاية حسن التأليف في نسج الكلام، والتسام الكلم والفصاحة، ووجوه الوعظ والبلاغة، حتى بلغ الحد الذي أعجز فصحاء العرب، وبلغائهم، عن معارضته، مع تحديه اياهم بمعارضته في مدة غلوائهم في الكفر به، وعنادهم في قبول دعوة الاسلام، ودعاهم إلى الايمان بسورة مثله، وأنذرهم مع ذلك بانهم غير فاعلين، فقال تعالى:-

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا عَلَىٰ سُرُورٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١﴾

فأعرضوا عن ذلك عجزاً مع ما عرفوا به من المقدرة الفائقة، وهم فرسان البلاغة، وبالإضافة إلى هذا القرآن الكريم، الذي ضرب للناس المثل الأعلى للفصاحة والبلاغة، فقد منح الله تعالى رسوله الكريم من الفصاحة والبلاغة ما هو قريب منه.

وهكذا اختص الله تعالى جميع أنبيائه عليهم السلام بالحظ الأوفر من الأخلاق الفاضلة والشجاعة، وأعدهم بأحسن عدة لهذا العمل، وآتاهم من القوة ما لم يؤت احداً أبداً.

فدعوة الأنبياء والرسول وبعثهم ما هي إلا لدعوة الخلق إلى الحق، والطلب من الناس بالخضوع لله تعالى، ونبذ ما هم عليه من العقائد الفاسدة.

بعثة الرسل..... ١٠٩

وكم من الأنبياء ما جعلوا صدورهم هذا لنبال المنية، حتى وفقوا لنيل السعادة إلى ليف من الناس.

ولأجله يأمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله ويجعلها من أسباب الرحمة فيقول:-

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ثم يحتتم الرسول علينا أن نحبه حباً أبلغ من حبنا لأنفسنا، ويجعل إيمان المرء غير صادق إلا بهذا النوع العالي من الحب للرسول المرسل من قبل الله تعالى وكلهم سواء، أولهم آدم عليه السلام وآخرهم خاتم النبيين رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وصحبه الطيبين الطاهرين.

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٢.



## الرسول والنبى وحاجة الناس

اختلف علماء الكلام في الفرق بين الرسول والنبى، فقال بعضهم انهما متساويان في المعنى، فالرسول هو إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام، ومثله النبى، وهذا التعريف يشتمل على الأنبياء الذين جاءوا مقررين لشريعة من قبلهم، فانهم يقال لهم قد بلغوا الاحكام للقوم الذين اسلوا اليهم وان كان غيرهم قد بلغها لمن قبلهم، كيوشح عليه السلام فانه أمر بتبليغ شرع من قبله لمن ارسل اليهم.

وقول بان النبى والرسول متساويان هو قول جمهور المعتزلة وبعض المتأخرين من الأشاعرة، أما جمهور الأشاعرة فهم يقولون: ان النبى أعم من الرسول، لأنه يشترط في الرسول أن يكون صاحب كتاب أو شريعة متجددة، بخلاف النبى فإنه لا يشترط فيه ذلك، فالنبى هو الذى يوحى إليه، سواء أمر بتبليغ غيره أو لا، بخلاف الرسول، فانه لا بد فيه من التبليغ.

وقد اعترض على هذا بانه قد ورد ان عدد الرسل ثلاثائة وثلاثة عشر رسولاً، وعدد الكتب مائة وأربعة، فكيف يتفق هذا مع اشتراط أن يكون الرسول صاحب كتاب أو شريعة، إذ قد ثبت بذلك أن الرسول لا يلزم ان يكون معه كتاب، وقد يجاب بأنه لا يلزم أن يكون قد أوحى إليه بكتاب جديد، بل يصح

أن يكتفي فيه بكتاب غيره، ولكن هذا الجواب لا ينفع إلا إذا عرف بالنقل من انزل عليهم الكتب ومن عملوا يكتب غيرهم، أما مجرد الاحتمال فانه لا يكفي .

وقد روي انه عليه الصلاة والسلام سئل: كم أنزل الله من كتاب فقال: مائة وأربعة، منها على آدم عشر صحف، وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى إدريس ثلاثون صحيفة، وعلى ابراهيم عشر- صحائف، وعلى موسى وعيسى وداود ومحمد عليهم السلام التوراة والانجيل والزبور والفرقان.

وبعضهم يقول: ان الرسول أعم من النبي، لأن الرسول يتناول الملك بخلاف النبي، فإنه مختص بالانسان.

وعلى أية حال من الأحوال، فالناس محتاجون في كل زمان ومكان إلى المصلحين، الذين يعملون على ما فيه سعادة الجماعة والافراد، وتلك الحاجة واضحة لا تحتاج إلى علة، إذ لو لا المصلحون لظل الناس في جهلهم يعمهون، لا يفرقون بين الرشد والغيّ، ولا يميزون بين الضار والنافع وليس أدل على هذا من قياس بعض الأمم التي ظهر فيها النابغون والمفكرون بالأمم التي حرمت منهم، فان آثار المفكرين، ونتائج جهود المصلحين واضحة جليلة في أمهم في كل شأن من الشؤون المادية والادبية، أما الامم التي حرمت من المصلحين، ولم يقيض لها من يرشدها من المفكرين فأنها تكون منحطة في كل شيء.

فرقي الامم وانحطاطها منوطان بوجود المصلحين وعلمهم بلا نزاع، وبديهي أن غاية الانسان التي ينشدها في حياته، وامله الذي يسعى له دائماً، انها هو السعادة، فكل الافراد والجماعات لا يبغون من وراء جهودهم ولا يريدون



الرسول والنبى وحاجة الناس..... ١١٣

بنتائج أعمالهم إلا أن يكونوا سعداء، فالسعادة هي المقصد الاسمى والمطلب الاعلى للناس أجمعين.

وهل العقل الانساني يستقل بادراك معنى السعادة من غير أن يكون له صلة بالله تعالى العليم الخبير، كلا! ذلك لأن السعادة كلها في الحقيقة هي الملك الدائم الذي لا يزول، والنعيم الخالد الذي لا يفنى.

تلك هي السعادة الحقيقة الكاملة وما عداها من اللذات المادية والمعنوية، فإنه وان كان سعادة في ظاهره ولكنه ما دام عرضة للزوال والفناء فإنه سعادة ناقصة، بل شبيه بالخيال والظل، لا تسكن إليه النفوس الكبيرة، ولا ترضى عنه العقول السليمة.

وإذا كانت السعادة الكاملة التي هي مطمح آمال الانسان هي الملك الدائم، والنعيم الخالد، فانها لن تكون في هذه الحياة الدنيا، لان الدنيا وبها لها وما عليها فانية لا بقاء لشيء منها.

وانما السعادة الكاملة هي في الآخرة، لانها هي الباقية، ولا ريب ان الحياة الآخرة مرتبطة بالحياة الدنيا في كثير من الامور، فكل ما يوصل من الدنيا إلى السعادة الاخرية يسمى السعادة أيضاً.

وبديهى ان العقل الانساني مهما أوتي من ذكاء وفطنة لا يدرك شيئاً من أحوال الآخرة، وان امكن ان يدرك شيئاً من وسائل السعادة الدنيوية الموصلة إلى السعادة الاخرية، كاعمال البر، واصلاح حال المجتمع والكف عن إيذاء الناس في اموالهم وأعراضهم ودمائهم، ونحو ذلك، على أنه لا يمكنه أن يستقل

بكثير من الواجبات التي يريدتها الله من عباده كالعبادات ومقادير الزكاة، كما لا يمكنه ان يعرف بالضبط ما ينبغي أن تكون عليه المعاملات الدنيوية الموصلة إلى السعادة الاخرية ما دام لا يعرف شيئاً من أحوال الآخرة.

فالرسل هم الذين يوحى إليهم باحوال الآخرة، ليبينوها للناس ويرشدوهم إلى الوسائل الدنيوية المرتبطة بالآخرة من خير وشر، ويعلموهم ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات الموصلة للسعادة الاخرية، سواء كانت متعلقة بالله أو بعباد الله على ان الرسل كانوا في كل أمة مراجع للناس عند الحيرة، وهادين لهم إلى الصراط المستقيم، والطريق القويم في أمور الدنيا والآخرة، فحاجة الناس اليهم ضرورية لا شك فيها.

## رسول الاسلام وخاتم النبيين

هو سيدنا محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لوي، بن غالب ابن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، وعدنان من ولد اسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام. وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فهي تجتمع في النسب مع عبد الله والد النبي في الجد الرابع وامه وأبوه من أشراف قريش نسباً، وأجلهم قدراً عليه الصلاة والسلام.

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب، فهي تجتمع في النسب مع عبد الله والد النبي في الجد الرابع وامه وأبوه من أشراف قريش نسباً، وأجلهم قدراً عليه الصلاة والسلام.

ولدة بمكة في شعب أبي طالب يوم الاثنين / ٢٢ / أو / ٢٧ / ع، وبعد قدوم الفيل بشهر، ومات والده وهو في بطن امه، ثم ماتت امه ولم يتكمل سبع سنين، وكفله جده عبد المطلب، ثم توفي جده بعد أن أوصى عليه عمه أبا طالب، فقام

أبو طالب بكفالتة خير قيام، وحبب إليه رسول الله، فكان لا تقرر عينه إلا إذا رآه ضاحكاً، وبعث صلى الله عليه وآله وسلم لثمان مضي من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين من عام الفيل، فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة على المشهور، ثم قدم المدينة يوم الاثنين وهو والثاني من شهر ربيع الأول سنة أربع وخمسين من عام الفيل المشهور، ومكث بها عشر سنين وتوفى عليه الصلاة والسلام وعلى آله أجمعين وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقد فصلت الكتب ما وقع له ﷺ من خوارق العادات، وما كان عليه من جمال الخلق، وكمال الخلق، وما عرف عنه من مبدأ نشأته إلى أن بعثه الله من الصدق والأمانة، ورجحان العقل، حتى انه كان معروفاً بين قومه بالصادق الأمين أحسن تفصيل، ويكفي من ذلك كله قوله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ومما لا شك فيه أن من يقرأ سيرة المصطفى ﷺ لا يسعه إلا أن يجزم بأنه رسول من عند الله حقاً أرسله الله تعالى للناس أجمعين، ولا ينكر ذلك إلا مكابر عرف الحق ثم جحدته.

أو جاهل بطبائع العالم غافل عن الحد الذي يمكن للقوة البشرية أن تصل إليه من الرقي العقلي، فلنذكر كرهنا نبذة من ذلك ليعلم الجاحدون أنه رسول من عند الله حقاً ويزداد الذين آمنوا إيماناً.

(١) سورة القلم: ٤.

نشأ ﷺ بين قوم تكاد فوضى الأخلاق بينهم أن تكون شاملة، فقد كانوا فوضى في معاملتهم، فوضى في عقائدهم فوضى في كل أمر من أمورهم.

أما معاملاتهم: فقد كانت تغلب عليهم فيها الاباحة، إذ كان قويمهم يغير على ضعيفهم، فيسي نساءه، ويسلبه ماله، ولا يبالي بقتله في سبيل شهوته، ولا يستحي من هتك عرضه ما دام قادراً على ذلك، فلم يكن لهم قانون يرجعون إليه، ولا حكام يخضعون له، اللهم إلا من كانوا يدينون له بميزة يقدسونها فيه كالكرم أو قوة العصبية، كما كانوا يفعلون مع بعض أجداد النبي ﷺ كهاشم بن عبد المطلب، فانهم كانوا يعاملونهم معاملة الملوك والأمراء، لما لهم من الكرم، وعلو الهمة، والاباء.

وقد كانت لهم مجالس سمر يتناشدون فيها الأشعار، ويتفاخرون فيها بما يتاح لهم من السلب، والنهب، والغارات، ونحو ذلك مما لا يليق.

وأما أخلاقهم: فان العرب وإن كانوا قد امتازوا بكثير من الصفات الكريمة مثل: الشجاعة، والاباء، والمحافظة على حقوق الجوار، والكرم، والنجدة، والصدق، والوفاء: وغير ذلك، ولكن الفوضى التي كانوا عليها بسبب الجهل، قد ذهبت بمحاسن تلك الصفات، وقضت على آثارها.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال: إذا سرك أن تعرف ما كان عليه العرب قبل الإسلام. فاقراء قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾. (١)

ولاريب أن الجهل الذي يقضي بالانسان إلى أن يقتل أبناءه لمجرد توهم الفقر هو من شر ما مني به النوع الانساني لا يتردد لحظة في الحكم على من يفعل ذلك بأنه شر من الحيوان المفترس الذي لا يقتل ابنه ولو مات جوعاً.

ذلك بعض ما كان عليه العرب قبل الاسلام، ومما لا شك فيه أن ذلك يرجع إلى الجهل، فان الأمية كانت تغلب عليهم، ولم يكن لديهم علوم تربي مداركهم وترشده إلى سبيل الحكمة والصواب، اللهم إلا ما كسبوه بالتجارب وورثوه بحكم العادة، على انهم قد امتازوا بشيء واحد وصلوا إلى ذروته، وانهوا إلى غايته، وهو البلاغة في القول، والفصاحة في المنطق، فأنتهم قد ملكوا زمام الفصاحة والبلاغة، فلم يكن قبلهم ولا بعدهم افصح منهم، خصوصاً قريشاً فأنها كانت افصح العرب قولاً، وابلغهم منطقاً.

لم يكن الرسول ذا مال، وكذلك عمه ابو طالب، فانه مع كونه من أشرف قريش لم يكن ذا مال كثير أيضاً، فكان حالته المالية ﷺ سيئة من جميع الجهات. فقد نشأ يتيماً لا اب ولا ام كما ذكر، فقيراً لا مال له، وربي بين قوم فوضى الاخلاق والعقائد، سائدة بينهم.

ولم تكن لهم معاهد علمية يتلقون فيها العلوم التي تهذب اخلاقهم، وتثقف عقولهم، ولم يكن بينهم علماء يعلمونهم ما لهم وما عليهم، وكل ذلك ثابت بالتواتر الذي لا شك فيه، ولقد ذكر القرآن شيئاً كثيراً منه وإذا كان ذلك فمن ذا الذي عصم ذلك النبي الأمي اليتيم الفقير من اخلاق قومه الفاسدة، ونجاة من صفات اهل بيته الذميمة وعصمه من ان يدين بدين قومه، ومن علمه ذلك

رسول الاسلام وخاتم النبيين..... ١١٩

العلم الذي ترتب عليه إنقلاب عام في جميع العالم في العقائد، والشرائع والأخلاق.

من علمه فلسفة الشرائع والأحكام، فجاء من ذلك بما ادهش العقول وحير ذوي الألباب؟.

ومن علمه قوانين الاجتماع وفلسفة التاريخ، فأتى من ذلك بما لا يستطيع احد ان ينقض قضية واحد من قضاياها؟.

من علمه نظام العمران؟ ومكارم الأخلاق؟ فوضع لها اساساً لا يزال العلماء والباحثون يبنون عليه آراءهم في كل زمان ومكان؟.

من علمه ذلك القرآن الذي اعجز جميع البلغاء والعظماء؟ فلم يستطيعوا ان يأتوا بشيء من مثله؟. لاشك ان الذي علمه ذلك هو الآله العلم الخبير.

إذ لا يعقل ان ينجو الانسان من اخلاق بيئته من مبدأ نشأته، فاذا امكن للعقل ان يتصور إنساناً استطاع ان ينجو من اخلاق اهله وبيئته فذلك إنما يكون بعد ان يبلغ اشده، ويتصل بمن يحرره ويهديه، اما ان إنساناً ينشأ كذلك منذ نعومة اظافره، فهو الذي فوق الفهم والادراك.

وكذلك لا يعقل ان يوجد شخص عليم بعلوم الأولين والآخرين وهو امي وليس في زمانه علم ولا علماء.

فذلك دليل قاطع على صلته باله قدير، أدبه احسن الأدب وعلمه احسن تعليم.

ولقد هال المشركين ذلك الأمر، وادهشهم ما فاجأهم به رسول الله فاجتمعوا مرة عند الوليد بن المغيرة. وكان اعلمهم بأشعار العرب واخذوا يفكرون فيما عساه ان يطعنوا به على ذلك الرسول.

فقال بعضهم: نقول انه كاذب، فقال الوليد: هل كذب محمد قط؟ فقالوا: نقول عنه كاهن، فقال: هل راءيتموه قط يتكهن؟ فقال: نقول عنه انه شاعر، فقال: هل راءيتموه قط يتعاطى شعراً ثم قال لهم: والله إنني قد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن!!.

إن له حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن اعلاه لثمر وان أسفله لمغدق، وانه يعلو ولا يعلى وانه ليحطم ما تحته، وكان قد سمع أول سورة نزلت، وكاد يسلم لولا تأثير أبي لهب عليه فإنه قال له ان الناس يزعمون انك اصبت بالفقر وان محمداً يجمع لك ما لا تغلبت عليه حمية الجاهلية، وغلبت عليه شقوته، ففكر ثم فكر، وعبس وبسر، وقال لهم قولوا عنه أنه ساحر، وفي ذلك نزل قوله تعالى:-

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فَفُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ \* ثُمَّ عَبَسَ  
وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَدْبَرَ \* وَاسْتَكْبَرَ \* فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾. (١)

إن فتصور كيف أن أشد أعدائه وأكبر معارضيه لم يجدوا مطعناً يطعنون به عليه سوى أنهم قالوا انه ساحر، وهذا سلاح العاجز الذي ينكر حقائق الأشياء عناداً، ويزعم انها خيال وأوهام، ولو أمكنهم أن يطعنوا فيه بشيء معقول سوى



رسول الاسلام وخاتم النبيين..... ١٢١

ذلك لما تأخروا عنه لحظة واحدة، إذ قد كان شغفهم بالقضاء على رسول الله وتفنيده ما جاء به شديداً.

وقد دفع ذلك بعضهم إلى تلمس الشبهة التافهة ليطعنوا بها على رسول الله من أي جهة كانت، ومن ذلك ما ذكره الله تعالى بقوله:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا المعلم هو - كما روي عن ابن عباس - غلام رومي لبعض قريش بمكة يقال له (بلعام) كان يعلمه رسول الله الاسلام فأفضى - بهم التعصب والعناد إلى قلب الحقيقة.

فقالوا ان ذلك الغلام هو الذي يعلم الرسول، وتلك سخافة واضحة، لأن المعلم كان أولى بتلك الدعوة الكبيرة من المتعلم، فما الذي حدا بذلك المعلم المسكين إلى أن يعلم غيره الحكمة والفضيلة، ولا ينسب شيئاً من ذلك لنفسه.

ويكفي الرد على زعمهم هذا قوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

لأن ذلك الغلام الرومي أعجمي الأصل فكيف يستطيع أن يأتي بالقرآن العربي مع أنهم هم من أفصح الناس منطقاً وقد عجزوا عن الاتيان بشيء من مثله، لاشك ان ذلك إدعاء سخيف، وقول هراء.

(١) سورة النحل: ١٠٣.

(٢) سورة النحل: ١٠٣.

ولقد أشار سبحانه إلى سخافتهم هذه بقوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ (١).

أي قالوا: انما يعلمه ذلك الغلام الرومي وانه مجنون والله يعلم أنهم هم أشد الناس سخافة وجنوناً، وان فتاتهم بعقائدهم الفاسدة، وتعصبيهم للفوضى هو الذي أضلهم وأعمى بصائرهم وأبصارهم.

ومعنى قوله تعالى: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ ان منطلق الذي، أو تكلم الذي ينسبون إليه تعليم الرسول فيميلون قولهم هذا عن الاستقامة أعجمي، فاللسان معناه التكلم، ويصح أن يكون باقياً على حقيقته ويلحدون يميلون لأن الالحاد معناه الامالة (ومنه قولهم: فلا ملحد آمال مذهبه عن الأديان).

ولاريب في أن قول الوليد الذي سبق ذكره في وصف القرآن الكريم من أوضح الدلائل، على أن القرآن معجز للبشر، وانه قد بلغ في بلاغته وفصاحته مرتبة لا يستطيع أحد أن يدنو إليها، لأن الوليد هو أعلم العرب بمواقع الكلم، نثراً ونظماً، وأقدرهم على تمييز القول الجيد من الرديء، وقد وصف القرآن بأنه ليس من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وانه يعلو ولا يعلى، فلا بد أن يكون حينئذ كلام إله قادر عليم خبير.

وهكذا شأن كل من كان يسمع كلام الله من العرب، ويتدبر معانيه فانه كان لا يرتاب قط في كونه معجزاً للبشر أجمعين.

فالقرآن هو المعجزة الكبرى التي هدى الله بها كثيراً من أساطين العرب وبلغائهم، فقد كان الاصغاء لسماح ما تيسر من كاف للاذعان له والانقياد لدين الله الصحيحن وهجر بقية العبادات.

ومن ذلك ما وقع للصحابي المشهور أبي ذر الغفاري (رضوان الله عليه) فإنه اسلم بمجرد سماع بعض آيات القرآن من النبي ﷺ وكذلك غيره.

ولهذا كان بعضهم ينصح بعدم الاصغاء للقرآن، والبعد عن سماعه كي لا يتأثر سامعه ببلاغته، فأنهم هم أهل البلاغة، وأقدر الناس على إدراك معاني الكلام وتقديره حق قدره، فكانوا يتأثرون بمجرد سماعه.

وكذلك معجزات الرسل - عليهم الصلاة والسلام- فانها تكون من نوع ما نبغ فيه أهل زمانهم، كما مر ذكرها.

على أن القرآن معجزة قائمة لا تفتنى على ممر الدهور والأزمان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فان بلاغته، وفصاحته، ومتانة أسلوبه، وأحكام مبانيه، وجمال معانيه، ودقة تراكيبه، وإشتماله على كل ما فيه سعادة الانسان وخيره، جعلته حجة الله القاطعة وآياته الناطقة، وبرهانه الدائم، ونوره الساطع، أنزله الله هدى ورحمة للعالمين.

ولو اجتمع البلغاء جميعاً على أن يذكروا مناقبه، ويبينوا عجائبه، وبشر-حوا أسراره، لما استطاعوا أن ينتهوا في ذلك إلى غاية، أو يقفوا على نهاية، فان عجائب كتاب الله لا تفنى، كما قال ﷺ: واسرار معانيه لا تستقصى.

فمن استمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، ومن حاد عنه فقد ضلّ سواء السبيل. ألا يرى أن المسلمين في مبدأ أمرهم كانوا من أرق الأمم سعادة ومجداً، وأعزها مكانة وقدرًا؟.

وما ذاك إلا لأنهم كانوا بالقرآن مستمسكين، وبآدابه متأدبين، فخضعت لهم رقاب القياصرة، وذلت لسطوتهم جباه الأكاسرة.

وكانوا سادة الدنيا، وعنوان الشوق والفضيلة، ومكارم الأخلاق فلما غلبت الأهواء على زعماء المسلمين، وتركوا نصائح القرآن وراءهم ظهرياً، وصلوا إلى ما هم عليه من سوء الحال. فنسأل الله تعالى ان يلهم المسلمين رشداً، ويوفقهم إلى التأدب بآداب كتابهم الكريم، الذي لم يترك فضيلة من الفضائل إلا حثّ عليها وامر بها، ولم يذر رذيلة من الرذائل إلا نهى عنها، ونهى عليها، ويكفي من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (١).

وكفى بما ذكر هذا الرسول الكريم، والنبى العظيم، وبالقرآن الكريم، معجزة تدل انه رسول من عند الله حقاً، وهو خاتم النبيين، وان كل ما جاء به

وبلغه عن ربه صدق لا يرتاب فيه عاقل منصف يدرك طبائع الأشياء، ويعرف ما يمكن ان تنتهي إليه العقول البشرية.

أليس هو ذلك اليتيم الفقير الذي نشأ في تلك البيئة التي وصفناها وكل اهل زمانه اعداء له، لا ناصر له منهم، حتى ان ابا طالب الذي كان يناصره مات وتركه لهم، فأصبح مضطهداً من جميع جهاته، يتآمر عليه اعداؤه، ويتدبصون به الدوائر للقضاء على حياته، وهو يصبر على كل ما يصيبه من بلواء، ويحتمل كل ما يلاقه من ضرر وايداء، ويجاهد بنفسه منفرداً في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، كما امره بقوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾<sup>(٢)</sup>.

أليس هو ذلك الامي المضطهد من قومه وعشيرته، قريتهم وبعيدهم غنيهم وفقيرهم، حتى النساء والصبيان والعبيد، فانهم كانوا يغرونهم به فيرشقونه بالأحجار كلما مرّ ومضى، ومع ذلك هو راض بكل اضطهاد وتعذيب، قري العين بكل ما يصيبه من ايداء وتشديد، لا مطمع له إلا هداية الناس وارشادهم، ولا غرض له إلا إخراجهم من الظلمات إلى النور.

أليس هو ذلك الرجل الذي عرض عليه اعداؤه ان يبايعوه بالملك وان يشاطروه جميع اموالهم في نظير ان يكف عن الدعوة الى الله ويسايرهم في عبادة اوثانهم، فرفض ذلك بتاتا وقال لعمه ابي طالب: - «والله ياعم لو وضعوا الشمس

(١) سورة الحجر: ٩٤.

(٢) سورة النحل: ١٢٥.

في يميني والقمر في يساري ما تنازلت عن هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه».

أليس في هذه دلالة قاطعة على صلته برب السماء، وإلا فما هي غاية الانسان في حياته الدنيا سوى الملك والمال؟! وقد عرضنا عليه بالحاح فأبت نفسه الكريمة ذلك بتاتاً.

أليس من الانصاف الاذعان لهذا الأمي بانه رسول من عند الله، وخاتم النبيين، بعد ان قلب نظام العالم في الشرائع والعقائد والأخلاق، وهو فرد نشأ بين اعداء يحدقون به من جميع جهاته.

أليس من الانصاف الايمان بأنه رسول الله، وخاتم انبيائه، وقد جاء القرآن الكريم الذي اعجز البلغاء والفصحاء جميعهم، ومع ذلك لم يدع منه لنفسه كلمة واحدة، بل قال انه جميعه من عند ربه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (١).

ولقد بلغ ذلك القرآن عن ربه بكل امانة وصدق، مع ان في بعضه عبثاً عليه، او مؤاخذه له، وليس من المؤلف ان يعنف الانسان نفسه، ويظهر امام الملأ بمظهر المخطيء من غير ضرورة تلجئه إلى ذلك.

أليس من الانصاف والتصديق برسالة محمد ﷺ وقد ظل دينه محفوظاً، وقرآنه باقياً لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قروناً عديدة مع وجود اعداء العاملين على هدمه وهدم دينه من الداخل والخارج، إلا ان ذلك ليس في

رسول الاسلام وخاتم النبيين..... ١٢٧

طاقة البشر ان يأتي به وحده، بل لا بد فيه من تأييد إله قادر لا يعجزه عن شيء في الارض ولا في السماء.

أليس من المحتم الاذعان بأن محمد ﷺ هو صاحب الرسالة الكبرى والدين القويم والشريعة المستقيمة التي هي خلاصة الأديان التي استدان بها الأرضون منذ بدء السماوات والأرض، والتي ستكون الديانة الوحيدة التي تلائم طبيعة هذه البشرية الى الأبد.

وقد رفع شأن العرب من تلك الجهالة الجهلاء، إلى تلك العظمة التي جعل الغرب يعترف حتى اليوم بمجدهم التليد ببركة وجود نبيهم الأكرم محمد ﷺ. فهذا هو المصور الفرنسي المشهور (رينول) يقول: (لله درك يا محمد!- انت العظيم الاوحد!- اما انت او حيت لا تباعك هذا الفن الساحر! واني اشهد بأننا فنائي اليوم نعد برابرةً ووحوشاً، او بهائم ممسوخة اذا قابلنا فننا بفن العرب، وآثارهم الخالدة). وهذا (الكونت هنري ديكستري) يقول:-

(ان بعثة محمد أحدثت انقلاباً كلياً في النوع البشري).

ومما يقوله: (برناردشو) الانجليزي:- (انني اعتقد ان رجلاً كمحمد لو تسلم زمام الحكم المطلق في العالم بأجمعه اليوم لّتمّ النجاح في حكمه، ولقاده إلى الخير، وحل مشاكله على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة).

واما المؤرخ والفيلسوف الانجليزي المشهور «توماس كارليل». فيقول:-

(اي شيء أكبر دلالة على صدق من يدعي لك انه بناء من ان يبني بيدين داراً

تقاوم العوادي اكثر من الف ومائتي سنة.

وتسع نحو مائتي مليون من الناس، كذلك لا شيء اكبر دلالة على نبوة محمد من ان يؤسس ديانة تجدها فيها نحو مائتي مليون من الأنفس غذاؤها الروحاني وتقاوم عوامل التحليل اكثر من اثني عشر قرناً).

فهذا هو النبي حقاً، والذي يجب أن يدعى له العالم بأجمعه، ويعترف بنبوته، حيث لا يسمح له الدهر بمثيل، ولا يأتي له بنظير.

فجد النبي نوح عليه السلام وهو اكبر الانبياء وشيخهم، فقد حمل مشعل الهداية عشرات قرون طوال، وما كانت العاقبة إلا الطوفان والهلاك.

وهذا هو خاتم الرسل، وسيد الانبياء والمرسلين حقاً، فقد ملأ العالم والأكوان علماً، ونوراً، وهدىً، وبهجة، وسروراً، خلال ربع قرن فقط، وفتح ابواباً للخير على الآدميين لم تكن مفتوحة من قبل بل موصدة عليهم، ولا يزال العالم في جهل عما اظهره اليهم من علم، وفي ظلمات عما انزله اليهم من نور.

ففي كل يوم يجد العالم في الاشياء المحيطة به دليلاً قاطعاً، وبرهاناً ساطعاً، وحجة بليغة على نبوته، وصحة رسالته، وعظمة شريعته.

وما اعظم الآثار التي خلدها لنفسه في هذا الوجود، فما رحل من هذه الدنيا إلا والمهتدون بأنواره، المؤمنون بشريعته، السالكون سبيله، يعدون بالملايين، وما تمر الايام حتى يزيدون دون ان ينقصون ويتقوون دون ان يضعفون!!.

افليس هذا كله دليل على نبوته، وعظمة شخصيته التي توجب على العالم الخضوع لأوامره، والاتباع لسنته؟.

فلم يرسله الله تعالى إلا رحمة للعالمين.



## القرآن حجة الله البالغة

بقي القرآن وهو المعجزة الوحيدة الخالدة حتى الآن، بعد أن مرت المعجزات كلها، لأنه من عند الله، وليس من عند الإنسان.

والمعجزات هي براهين الأديان، والأديان لا تكون شيئاً إن لم تكن من عند الله، ويقوم البرهان الساطع على انها من عنده.

فصدورها من الله ضمان هدايتها الانسانية في كل الظروف ما أطاعتها الانسانية.

ووضوح البرهان على انها من عند الله ضمان استيقان الانسان إياها وطاعته لها، وسواء أكان الدين خاصاً بأمه أم عاماً للبشر، فالبرهان عليه ينبغي أن يكون عاماً يخضع له كل عقل لا خاصاً تخضع له بعض العقول ولا يفي بهذا الشرط في البرهان على الدين الحق انه من عند الله إلا المعجزات.

والانسانية الآن في حاجة إلى دين تخرج به من ورطاتها، بعد أن كادت تهلك حين نسيت الدين.

ولو أرادت البحث بعقلية علمية عن دين الفطرة، فليس أمامها إلا أن تنظر في الأديان كظاهرة كونية.

١٣٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

وفي الحق إنها ظاهرة من أكبر الظواهر الواقعية، وأعظمها مظهراً وأثراً في الحياة الانسان، والواقع هو موضوع الدراسات العلمية، أو هو موضوع العلم الطبيعي بشرط الا يكون لهوى الانسان دخل فيه.

لأن الهوى والحق قل ما يجتمعان، لذلك لم يجعل للتاريخ مجالاً لبحثه، لأن الاهواء من عوامل التاريخ.

لكن هناك ظاهرة تاريخيه هي أهم ظواهر التاريخ، وأشبهها بالظواهر الطبيعية التي ليس للانسان عليها سلطان، وان جرت على أفراد من الناس تلك هي ظاهرة النبوة وظهور الانبياء.

فيظهر في الناس احدهم على غير أعداد منهم يتجرد من كل ما يشغل الناس من إقبال على الدنيا واستمتاع بها جاعلاً شغله الشاغل دعوة قومه إلى فاطر الفطرة وخالق الناس.

ثم لا يدعوهم من عنده فيلتبس عليهم بالفلاسفة والحكماء الذين يكثرون في بعض العصور، ولا يكاد يخلو منهم عصر، ولكن يدعوهم باسم الله الذي خلقهم مؤكداً لهم انه مرسل اليهم من عند الله برسالة ليس فيها إلا التبليغ.

وسواء آمن به كثير، أو آمن به قليل، فانه يعمل في جميع الاحوال بما يدعو اليه من دين، مهما شق العمل به على الناس.

فهو يطلع على الناس طلوع نجم او قمر أو شمس أو مذنب يجري مجراه، ولا يجيد عن مسراه.

فهي من ناحية ظاهرة واحدة متجددة، فالنبي أشبه بالنبي من النجم إلى النجم.

وتصحب النبوة والرسالة عادة ظاهرة اخرى هي اشبه بما يشغل به العلم من الظواهر نسميها بمعجزة، ويسميها القرآن آية، وهي دليل دعوى النبي أو الرسول انه نبي الله ورسوله. وهي حجة الله على من شهدها أو تواتر سماعه بها عن شهدائها.

والمعجزات تشبه ظواهر الفطرة في انها مما لا يقدر عليه الانسان. والعلم أسرع إلى التسليم بمثل هذا الدليل أن ثبت لديه فروعه، لأن العلم اعرف وأبصر بعجز الانسان عن خرق عادة الفطرة، وسننها في الكون. وإذا قدر ان يبحث العلم الاديان عن طريق بحث ظاهرة النبوة، فيسجد أن العقبة في سبيله هي ان معجزتها قد مرت وانقضت، فهو لا يجد سبيلاً إلى بحث شيء منها إلا معجزة واحدة لرسول واحد على دين واحد إلا القرآن معجزة الاسلام على يد محمد بن عبد الله ﷺ.

لقد ذهبت المعجزات كلها وبقي، وتغيرت الكتب وحرفت، ولم يتغير هو ولم يتحرف. فلو قدر للانسانية ان تفحص الاديان بعقلية علمية لما وجدت غير الاسلام ديناً يثبت للفحص العلمي.

إذ ليس غير الاسلام دين بقيت معجزته إلى اليوم وتبقى إلى ما شاء الله لتكون موضوع بحث وامتحان، وليهتدي البشر بفحصها إلى الله، وليعلموا عن طريقها ان الاسلام هو دين الله، فاطر الفطرة، وخالق الناس.

جعل كتابه عين معجزته، ومعجزته عين كتابه، ليكون حفظ الدين وحفظ وحفظ معجزته أمراً واحداً سواء، ولتدوم حجة الله على الناس.

ليت في علماء الاسلام جماعات تلقوا صنوف العلم الطبيعي وتمكنوا من علوم القرآن ليجلوا للانسانية القرآن على النمط العلمي الذي هو من نمط النظر القرآني وفيه للانسانية في هذا العصر العلمي مقنع.

يعرف المستر (ر.ف. بودلي) القرآن في كتابه (الرسول حياة محمد) قائلاً:-

(القرآن كتاب جليل يعكس صورة محمد. بل انه محمد في الواقع، وعلى الرغم من ذلك فهناك قليلون من غير المسلمين ودارسي الاسلام من عندهم أية فكرة عن ماهية القرآن، فعلى الرغم من وجود تراجم له عديدة جيدة بالفرنسية والانكليزية والالمانية، فمن النادر ان تجد غربياً قد قرأه فقد سمعت بعضهم يتحدثون عنه على اعتبار انه تاريخ محمد، أو أنه مجموعة من الحكم من نوع حكم (كونغوشيوس)، أو على انه مجموعة قوانين محمد أو على أنه تأويل للكتاب المقدس، والظاهر انه حتى أن مؤرخي محمد قد تجنبوا التحليل أو الشرح المختصر لهذا العمل الذي عليه قام الاسلام جميعه).

فالقرآن الكريم حجة الله البالغة على عباده، والانسانية كلها مخاطبة به، مطالبة بالتسليم له، انه كلام الله، ليس لأدمي فيه كلمة ولا حرف.

ولا بد أن يتضح أعجاز القرآن لكل انسان، لتلزمه حجة الله لا اله الا الله أن يتضح أعجاز القرآن لكل انسان، لتلزمه حجة الله إن هو ابي الاسلام.

ومعجزة القرآن ليست من تلك الناحية التي يتوقف تقديرها، والتسليم بها على معرفة لغة لا تيسر معرفتها لكل أحد.

وتلك الناحية الاعجازية هي الناحية العلمية من القرآن.

فالناحية العلمية من القرآن تشمل ما عدا الناحية البلاغية، الناحية النفسية وكيف اقتاد القرآن النفس، ويقودها طبق قوانين فطرتها.

وتشمل الناحية التشريعية وكيف نزلت أحكام القرآن طبق قوانين الفطرة للأفراد والجماعات.

وتشمل من الناحية التاريخية التي لم يكن يعلمها البشر عند نزول ما اتصل بها من آيات، ثم كشف عنها التنقيب الأثري بعد.

وتشمل الناحية الكونية ناحية ما فطر الله عيله غير الانسان من الكائنات في الأرض، وبما فطر عليه الأرض وغير الأرض في الكون.

هذه الأنواع من المعاجز تعجز الاحاد أن يجد موضعاً للتشكيك فيه إلا أن يتبرأ من العقل. فان الحقيقة العلمية التي لم تعرفها الانسانية إلا في القرت التاسع عشر أو العشرين مثلاً، والتي ذكرها القرآن، لا بد أن تقوم عند كل ذي عقل دليلاً محسوساً على أن خالق الحقيقة هو منزل القرآن.

فلو تأملنا مثلاً في الآية الكريمة في أول سورة من القرآن ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

١٣٤ ..... الأيمان والعلم الحديث

ولنتصر من ذلك ما يتمثل من كلمة (العالمين) ولا شك انها كلمة فاجأت العرب من ناحيتين على الأقل:-

ناحية الجمع، و: ناحية تذكير الجمع.

فالعرب لم يكونوا يعرفون إلا عالماً واحداً، هو الذي كانوا يعيشون فيه. والناس إلى اليوم لا يتحدثون إلا عن عالم واحد، هو هذا الذي تبصره ونعيش فيه.

والتمس الناس تلك العوالم المتعددة، فقالوا هي عوامل الانس والجن والملائكة، وقالوا هي عوالم الحيوان والنبات والجماد.

ولكن ليس كل ذلك بمعوف بمعنى ذلك اللفظن لفظ (العالمين) انه جمع معرف لا جمع منكر.

فاذا قيل العالم لم تفهم إلا عالماً واحداً، هو هذا الشامل لكل ما يرى من ارض وسما.

وإذا أخذنا بحرفية اللفظ في الفهم طبق قاعدتنا الأولى، كان عالمنا هذا فرداً من أفراد، وعالماً من عوالمه مثله.

فأين هذا المعنى؟ في أي كتاب؟ بأي لسان قبل القرآن؟.

جاء علم الفلك الحديث بمراقبه ومراصده وتحليلاته الرياضية وغير الرياضية، فبين أن المجموعة الشمسية التي نحن فيها ومنها ليست في هذا العالم المجري شيئاً مذكوراً، وبين أن هناك عوالم مجربة اخرى مترامية المطارح تعد لا بالمئات ولا بالآلوف ولكن بالملايين؟!!!.

ولكن العلم لم يهتد إلى الآن في العوالم المجرية الاخرى إلى أرض كأرضنا وان اهتدى إلى أن في كل عالم مجري آلاف مؤلفة وملايين من الشموس.

فما بلغ ما وصل إليه العلم الحديث في شأن هذا السر العظيم الذي أشار إليه الخالق سبحانه بكلمة (رب العالمين) سر وجود الحياة في أرض غير أرضنا، وفي عالم كعالمنا؟.

كل ما وصل إليه من هذا أن وجود الحياة على غير كوكبنا هذا أمر ممكن، بل أمر راجح.

وفي فصل (الحياة في العوالم الأخرى) من كتاب «عوالم لا نهاية لها» للفلكي الانكليزي (هـ. سبنسر جونز) ما يوضح للانسان وجهة العلماء في هذا الأمر.

وبالاضافة إلى هذه النواحي العلمية التي تطرقها القرآن الكريم ففيه من الآداب والوصايا كالعدل، والوفاء بالعهد، والاحسان، والصدق والصبر، والعفو، وإن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

فالقرآن الكريم كنز من الأخلاق لا يفنى.

والقرآن الكريم نبع للفضائل لا ينضب.

وليت المسلمين أو العالم قاطبة يرجعون إليه ليثبتوا سننه، ويتخلقوا بأخلاقه، ويتأدبوا بآدابه، لتكون لهم عصمة في هذا العصر المفتون، وقبساً وعزاً من هذا الذل، واجتماعاً من هذه الفرقة، وعلماً من هذه الجهالات، وهدى من هذه الضلالات، ولتكون لهم بعد الشقاء سعادة، وبعد الشدة رخاء، وبعد العسر يسراً.

إن كتاب الله الكريم هذا يدعو إلى اخلاق تسعد الناس في معارك الحياة وترشدهم في فتنها، وتوفي بهم على الغاية التي أرادها الله لخلقه.

الأخلاق التي يحيا بها موتى الشقاء لا التي يموت بها الأحياء.

وان فيها لسعادة الفرد والجماعة وسعادة الناس كافة، وإن فيها لنجاة للعالم من كوارثه وخلصه من مهالكه.

وإنما هي السلام في نفس الفرد، وفي جماعة الأسرة، وفي نظام الأمة، وفي مجتمع البشر.

وهل هي إلا تخليص النفوس من ضلالتها، وتطهيرها من أرجاسها وبراؤها من أهوائها، ثم حكمها بعدل الله الذي يبصر بالواجب كما يبصر بالحق ويدعو إلى العطاء كما يدعو إلى الأخذ، وينزل الناس على حكم الانصاف المؤلف للقلوب، والالفة المعينة على الخطوب، والتعاون الذي يذلل الصعاب ويبلغ المقاصد، وينيل المطالب.

ثم اقامة الجماعة في نظام جامع من الانصاف والألفة والمودة والتعاون ليرد عداوتهم محبة، وحرهم سلاماً، وظلمهم عدلاً، وجشعهم قناعة، ويجمع القلوب والعقول والأيدي على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان.

فالقرآن الكريم هذا يدعو إلى هذه المقاصد.

فلم لا يهتدي المسلمون بها لتهدي الأمم بهم؟.

ولم لا يلجأ المسلمون إليها ليكونوا لها حجة قائمة واليها دعوة صادقة؟



﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول الله تعالى:-

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فأخلاق القرآن هي السنن التي تنظم العالم والوشائج التي تجمع الانسانية والأسطر التي تؤلف بين كلمات البشرية.

فليتمسك رائد والسلام والطمأنينة في الحياة، ومنشدو الحرية والمساواة، وطالبي السعادة والمؤاخات بهذا الدستور السماوي الذي يكفل لهم بكل ما يروموه في معترك هذه الحياة إن كانوا حقاً يدعون وصدقاً يقولون وليست في نفوسهم من الأغراض الشخصية، والمطامع الفردية، ولا يريدون أن يجعلوا من مذاهبهم وآرائهم، معولاً يهدمون به صميم الانسانية، ويمزقون به أحشاء البشرية.

ولا بد لمن ألم بنبذة تاريخية مختصرة في حركة الفكر البشري وتحريره وفيما كانت عليه الأمم الكبرى في طائفة من القرون التي سبقت ظهور الاسلام من التطورات، وما تعاقبت على العقول فيها من المد والجزر والتحرير والاستبعاد من الاعتراف والاذعان بما للقرآن الكريم وتعاليمه من الأثر الفعال في العقل الانساني، واحلاله المقام الذي خوله خالقه منذ أن خلقه.

(١) سورة الاسراء: ٩.

(٢) سورة الاسراء: ٨٢.

١٣٨ ..... الأيمان والعلم الحديث

فهكذا نجد أن القرآن حرر النفوس المغلولة بأوامره القدسية، وأنجس البشرية من معائر الجهالة، وسار بالعقل الانساني في سبيل الحرية وحل بها من المنازل العالية.

وأوصل الانسان إلى المقامات السامية من العلم والحرية والمساوات والعدالة.

وأكمل للبشرية سائر الفضائل الكمالية، لأنه جاء بدين الفطرة، وبناموس الطبيعة في كل شيء، فطابقت قواعده أحكامه وأصول آدابه وشرائعه مقتضيات الطبيعة الانسانية.

ولم يأت القرآن بشيء لينا في الآراء القويمية، أو تغم حكمته على العقول السليمة.

ولم يكلف العقل الايمان بما لا يعقل، ولم يحمل الانسان ما لا طاقة له به، ولم يفترض عليه ما ليس من معلومات فطرية.

وقد رسم للبشر أقرب السبل إلى الهداية وحفظ العباد عن مواطن الهلكة.  
وقد حفظ بقواعده الرصينة حقوق الضعفاء من البشر، وصان بأوامره حقوق النساء والأولاد، والرق والعبيد، ولم يدع من امور الحياة صغيرة أو كبيرة، إلا وتعرض لها، وسن لها قانوناً للمحافظة عليها وصيانتها: - ما ﴿قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾<sup>(١)</sup>.

---

(١) سورة الانعام: ٣٨.

﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ولم يكن هناك أي تغاير بين تعاليمه وبين العلوم الحديثة التي ظهرت في يومنا هذا، بل كان قد فتح أمام الانسان ابواب العلوم الحديثة كلها وحفز الانسان للتفكر والتبصر والتعقل فيها.

فجاء القرآن بما جاءت به سائر الرسالات السماوية من التعريف بالخالق وتقرير العقائد وامهات الشرائع، واسباس الأدب والاخلاق.

جاء بجميع ذلك قصداً إلى هداية العالم الانساني، وارشاده إلى ما يضمن له السعادة الأبدية، والنعيم السرمدى في حياته.

جاء القرآن الكريم حجة بالغة للبشر أجمع، ولتحرير عقولهم من رق التقليد، واخراج الوجدان الانساني من نطاق الحجر الذي ضربه رجال الدين الأقدمين.

جاء لانهاض العقل، واستحثائه في سبيل التفكير والنظر.

جاء يحفز النفس ويسوقها لقراءة صحف الطبيعة، ويجعلها تتطلع إلى مخلوقات الله تعالى بنظر التبصر والتفكر لتدبر آيات صنعه تعالى البديعة، فلم يقف في سبيل رقي العلم وحرية الفكر، بل جاء محرراً للعقول الأسيرة، ونوراً وضاء ينير البصائر المظلمة.

١٤٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

وثبتاً للأفكار القلقة، ومحركاً للأفكار الجامدة، ومعيناً للعلوم القاصرة،  
وللسعي وراء العلم لمعرفة الحقائق الكثيرة من حقائق آيات الله وصنعه جل  
شأنه.

فبالقرآن وحده بدأ عهد العلم الجديد، وحصل الانسان على علوم الكون  
العقلية.

وبالقرآن وحده يمكن الحصول على قانون دين من الاديان التي تلائم  
الانسان في كل زمان ومكان، صالح لكل امة وكل جيل، منج لكل من  
استمسك بعروته الوثقى، وعمل بأوامره، فهو دين الابد وختام الاديان.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾<sup>(١)</sup>!

---

(١) سورة القمر: ١٧.

## الاسلام والانسانية

وهكذا جاء الاسلام تجميعاً للطاقة الانسانية كلها، وتوجيهها لها إلى الهدف الاعلى، إلى معنى الانسانية الأسمى: المساواة، والحرية، والكرامة، والعمل، والرحمة، والاستشهاد، وفي كل واحدة من هؤلاء يرتفع بالنفس الانسانية إلى آفاتمها العليا.

يرتفع بها في (المساواة) إلى نسيان النعرة الشخصية، والنعرة المحلية، والنعرة القومية، وجميع النعرات التي تمزق الانسانية طوائف ونحلا، وتغرس العداوات والبغضاء وتعوق النمو البشري والتقدم الانساني.

يرتفع بها في ( الحرية) إلى (المساواة) في آفاقها ثم إلى التحرر من الشهوات والمطامع المذلة أو الظالمة.

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup>.

ويرتفع بها في (الكرامة) إلى (المساواة) وإلى (الحرية) ثم إلى الترفع على عبادة العبيد والخضوع للمخلوقين.

---

(١) سورة الحج: ٣٩.

﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

ويرتفع بها في (العمل) إلى (المساواة) وإلى (الحرية) وإلى (الكرامة) جميعاً...  
ثم إلى الانتاج والتقدم بالانسانية.

«ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

ويرتفع بها في (الرحمة) الى ما فوق اللذات، وإلى المشاركة الوجدانية مع  
الانسانية، وإلى الشعور بالرحم الأقوى رحم البشرية.

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

(الفقراء عيال الله وأحبكم إلى الله أرأفكم بعياله).

ويرتفع بها في (الاستشهاد) إلى ضمان هذه الفضائل جميعاً، وإلى الارتفاع عن  
الحياة المحدودة إلى حياة أخرى غير محدودة وإلى الخلاص من أشد قيود الغريزة:  
من حب هذه الحياة المادية إلى حب الفكرة المجردة.

بهذه الروحية الفخمة وثب الاسلام، واندفع يعبر الصحاري والجبال  
والبحار، حتى وصل إلى ما وصل إليه شرقاً وغرباً، فكانت هذه إحدى معجزاته  
الكبرى ايضاً.

---

(١) سورة النساء: ١٣٩.

(٢) سورة الذاريات: ١٩.

(٣) سورة الحشر: ٩.

انطلق المسلمون الفاتحون في مشارق الأرض ومغاربها، لا للاستعمار والفتح، ولكن لنشره الفكر العليا.

وكلما هبطوا وادياً حرروا أهلهم، من مستعبيهم، ومن حكامهم، ومن ذات أنفسهم.

حرروهم من السلطان العاشم، والاستغلال القبيح، ومن الضلالات والأوهام، وردّوا لهم كرامتهم الانسانية، وساووهم بأنفسهم.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فاختفت بالاسلام نزعات العصبية، ونزعات اللون، ونزعات الجنس، ونعرات العزة بغير الله.

«كلكم لأدم، وأدم من تراب».

اندفع الاسلام بهذه السرعة الخارقة، وبهذه القوة الجارفة لأن الذين اندفعوا به على أنفسهم وتساموا على ذواتهم، وحفت في أرواحهم سورة فردية، وغلت فيها فورة الغيرية، ولأنهم تخلصوا من أوهام الحياة المادية المجسمة، وعشقوا فكرة روحية مجردة... وصار لقاء الله في سبيل مبادئهم أحب اليهم من لقاء أهلهم وأبنائهم. ورغبوا في النعيم الموعود برضاء الله عن النعيم الذي يلذونه في هذه الحياة:-

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُودًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

فيجب أن تنتبه إلى اخطار هذه اليقظات السياسية المتنوعة التي تظهر بأشكال مختلفة بين حين وآخر ويجب ان نعلم انها لا تبقى ولا تعيش ولا يرتفع مستواها إلا إذا كانت مستمدة من طاقة روحية تنفخ فيها وتقويها.

فأين هي القيادة الروحية لهذا الجيل؟.

القيادة التي تخلق الشخصيات العظيمة، وترتفع بالافراد والجماعات عن مطالبهم الوقتية إلى المطالب العليا الدائمة.

وعسى أن تكون هناك وثبة روحية قريبة تدعو دعوات اسلامية تنفخ في الجيل الهابط المنحل المنهمك في العوامل المادية المحضه ليرد بها ما اعتورت النهضات الأخيرة من فسادها ونكستها التي تبتي آثارها في النزعات الحزبية على حساب الوطنية، والممتلئة بالأغراض والمطامع الشخصية وان يظننا موعدها المرموق.

فبالمثل الروحية الاسلامية فقط يمكننا أن نرد كثيراً مما نراه من الانحلال الخلقي الفردي والاجتماعي الى خمود الشعلة المقدسة من مثل هذا الوقت الذي تخمرنا فيه موجات من أوروبا المنحلة التي خبت روحها من قرون واستحالت آلة لا قلب لها ولا ضمير تنفق من زمن قديم وسينفد بعد حين.

(١) سورة التوبة: ١١١.



فجاء الاسلام ليؤسس دنيا البشرية يستوعب الأديان عامة، ومجتمعاً عالمياً يسع الناس كافة.

ووضع الاسلام لذلك أصولاً أولية، وقرر مبادئ كلية، وانطلق المسلمون به يحققون أغراضه هذه، فجالوا في اكناف الأرض نحو ثمانين سنة نشروا لواءه فيها على نحو ربع الكرة الأرضية، وأبلغوا دعوتهم إلى العقيدة الاسلامية، والدفاع عن طريقتهم الاجتماعية بكل ما أوتوه من نشاط في العمل، وسعة في الصدر.

ولذلك فقد ظلت العقيدة الاسلامية بسيطة واضحة، وتكفل التعبير القرآني وحده بتحقيق الجانب في هذه العقيدة، بما يناسب وضوحها ونصاعتها. وتلك طريقة القرآن غالباً في مخاطبة الحس الانساني، وهي أقوم طريق، وأقوم سبيل.

فجاء الاسلام ليحرر الانسانية من اغلال الجهل والعناء، وليبغي لها حياة هادئة وادعة، يغمرها نور العلم والايان، وليعيش الناس فيها على قدم المساواة في الحقوق، والواجبات في السراء والضراء.

فحارب الاسلام تلك النعرات الجاهلية الغاشمة والعصبيات العقلية الذميمة واعلن الاسلام بأن الناس سواء، ونادى ذلك النداء الذي يشع النور من كلماته:-

«الناس سواسية كأسنان المشط، وانما يتفاضلون بالعاقبة».

«لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى».

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. (١)

كانت النفوس تغص بالجشع، والقلوب تحيش بالطمع، والاثرة تسيطر على العقول، وكان القوي يستبد بالضعيف، وما كان المرء يفكر إلا بنفسه، وأصبح بذلك الظلم والبغي والمنكر قانوناً يطبقه الغني والقوي ويرضخ له الذليل والفقير، فناداهم الله تعالى في كتابه: - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. (٢)

فنظم الاسلام العلاقات الاجتماعية على اساس التعاون الوثيق بين الافراد والمحبة والاخاء.

فالسادة الذين يشمخون بأنوفهم كبراً، يجب أن يتواضعوا، وإلا فانهم محرومون من رضاء الله:-

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. (٣)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾. (٤)

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة النحل: ٩٠.

(٣) سورة القصص: ٨٣.

(٤) سورة الحجرات: ١١.

أما الذين أدركوا من الناس معنى الانسانية، وتجافوا عن الكبرياء ورضى الله عنهم، فهم الذين قال القرآن فيهم:-

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾<sup>(١)</sup>.

والإسلام يجمع قانون العلاقات الاجتماعية في قول نبيه الكريم حيث يقول:- «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه».

والاسلام يجد من غريزة العدوان ودفع الشر بمثله فيقول:-

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ولا بدع، فدين الاسلام ليس مجرد صلاة وعبادة، وانما أساسه حسشن المعاملة بين الناس، وشعور كل فرد بشخصيته وحرته في حدود القانون والمصلحة العامة.

فيقول الله تعالى:- ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة الفرقان: ٦٣.

(٢) سورة فصلت: ٣٤.

(٣) سورة البقرة: ١٧٧.

ولم تكن الصدقات فضلاً من ذوي اليسار على ذوي المتربة يؤدونها تارة وينكرونها اخرى، بل كانت فرضاً محتوماً يخرجونه من أموالهم عيناً كانت أو عروضاً، ثابتة أو منقولة:-

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرَّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (١).

وأصرح من هذا في قوله تعالى:-

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِللسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (٢).

ولما كان حب المادة متأصلاً في النفوس البشرية منذ كانت عصور الظلام رأى الاسلام ان طالب المادة لا يشبع، وان الروح لا بد لها من غذاء، ومع هذا فلم يحث الناس على ترك الدنيا، لأنه دين عملي يتمثل في قوله تعالى:-

﴿ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٣).

وقد عقد الاسلام تفاضلاً بين الحياة الدنيا والآخرة مخافة أن يطغى حب المادة على الروحانيات ولهذا قال تعالى:-

(١) سورة التوبة: ٦٠.

(٢) سورة المعارج: ١٩-٢٥.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾. (١)

﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. (٢)

وقد أكثر الاسلام من توجيه الناس إلى التفكير فيما حولهم من بدائع المخلوقات حتى يحرك اذهانهم:-

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضْرِبُ الرِّيحُ وَالسَّحَابُ الْمُسَخَّرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. (٣)

وحت الاسلام على التعلم رافعاً من شأن العلم واهله:-

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ\* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. (٤)

(١) سورة الكهف: ٤٦.

(٢) سورة القصص: ٦٠.

(٣) سورة البقرة: ١٦٤.

(٤) سورة فاطر: ٢٧-٢٨.

وهذا يفسر لنا تلك النهضة العربية الاسلامية التي ظهرت بعد الاسلام وشغف المسلمين بالفلسفة والعلوم العقلية التي أحيا المسلمون شعلتها وزادوها في سناها، وتلقفتها أوروبا من أيديهم ساطعة منيرة.

ولم يكن الاسلام متعصباً في عقيدته ينكر الأديان قبله ويذمها، بل جعل شرط الاسلام الايمان بما أتى به المبينون من قبل:-

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالاسلام دين لا يعرف التعصب بل يشمل الانسانية كلها.

دين لا يفرق بين الأجناس ولا البلاد ولا الحدود:-

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾<sup>(٢)</sup>.

فهذه هي تعاليم الاسلام التي أخرجت الانسانية من الظلمات إلى النور فهل من نفحة من نفحات الاسلام ورسول الاسلام ترف على العالم فتهديه سبل السلام، وقد أوشكت مآسيه أن تلقف كل ما بنى النور وشيد العدل وأقامتها الانسانية.

(١) سورة البقرة: ١٣٦.

(٢) سورة الملك: ١٥.

فلا إنسانية بغير الاسلام، ولا سلام بدون الاسلام.

فليتصور الانسان لنفسه نظاماً واحداً يصلح لكل زمان ومكان، ويقطع أسباب النزاع بين الانسان والانسان: يوحد الله ولا يشرك به أحداً من خلقه، ويقدم جميع الشرائع التي أنزلها الله، ولا يفرق بين أحد من رسله، ويؤاخي بين الناس كافة في الروح والعقيدة لا في الجنس والوطن، ويسوي بين الأخوة أجمعين في الحقوق والواجبات، فلا يميز طبقة على طبقة، ولا جنساً على جنس، ولا لوناً على لون، ويجعل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني يؤديه اليه طوعاً أو كرهاً، ليستقيم ميزان العدالة في المجتمع، ويجعل الحكم شورى بين ذوي الرأي فلا يحكم بأمره طاغ، ولا يصر على غيته مستبد، ويجرر العقل والنفس والروح فلا يقيد النظر، ولا يحصر الفكر، ولا يقبل التقليد، ولا يرضى العبودية، ويأمر معتقديه بالاقساط والبر لمن خالفوهم في الدين، وعارضوهم في الرأي، ويوحد الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر في المعاملة، وللإيمان الأثر الفعال في السلوك.

وخلاصة القول فيه ان النظام الذي يحقق الوحدة الانسانية فلا يعترف بالعصبية ولا بالجنسية ولا بالوطنية، وانما يجعل الأخوة في الايمان والتفاضل بالاحسان والتعاون على البر والتقوى.

فاذا تصور الانسان هذا النظام فقد تصور الاسلام. وإذا أخذ به فقد اطمأن العالم المضطرب، واستقر السلام المزعزع. فلم يعد هذا الانسان خاسراً بل رابحاً بكفيه سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.





## من مزايا الشريعة الاسلامية

للشريعة الإسلامية مزايا جعلتها أغنى الشرع وأوفاهها بحاجات الأفراد والجماعات، وأكفلها بتحقيق طمأنينة الأمم وسعادتها وقوتها وعزتها.

بل هي إذا اتبعت مع آداب الإسلام ووصاياه الأخرى من أمورها المستحبة والمباحة والمرجحة، كفيلة بتكوين أمة مثالية تجتمع فيها عناصر القوة، والمنعة، والحياة الصالحة، والمدنية الفاضلة، وتتهياً لها أسباب التقدم والنهوض إلى أرفع المراتب، وأعلى الدرجات.

وليس في مقدور أحد أن يحصى هذه المزايا كلها لتنوعها وكثرتها ولذلك فلنكتفي هنا بذكر بعض هذه المزايا التي تكشف عما فيها من قوة الحياة، وسمو المبادئ، وشرف الغاية، ونيل المقصد.

ان جميع أحكام الشريعة الاسلامية جرت موافقة لمقتضى العقل وجاءت وفق الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها قبل أن تفسدها الأهواء.

ففي جميع أحكامها من المنافع والآثار النفسية والتهذيبية والخلقية والاجتماعية، مالا يمكن أن يخفى على ذوي العقول السليمة.

فشريعة الإسلام شريعة العقل والفطرة، وليس فيها شيء يخالف القياس الصحيح، ولذا جاءت أحكامها رحمة وحكمة ومصلحة ونعمة.

ومن مزايا هذه الشريعة المقدسة هي جعل غايته تحقيق مصالح العباد في المعاش، والمعاد، ودفع المضر والمفاسد، وتحقيق العدالة المطلقة، وانها جاءت بغاية العدل الذي يفصل بين الخلائق، وانه لا عدل فوق عدلها.

ويقول فيها أحد كبار الكتاب في هذا العصر:-

(الأمور الشرعية التي دونها الفقهاء المسلمون قبل نحو أحد عشر- قرناً تبث في عدالة أصولها، وسمو مستواها، وانفاقها من الحق الطبيعي جميع القوانين الوضعية حتى التي سنت في القرن العشرين) ثم قال: ( ان من يتأمل في التشريع الذي استنبطه علماء المسلمين في الرق والارقاء وفي المرأة وما يتعلق بها من حقوق طبيعية وروحية، وفي الايتام والفقراء، وفي حقوق المحاربين، والمعاهدين، والأجانب، والذميين، وفي الشؤون المدنية والجنائية، وفي العقوبات والتعزير... ومن يتأمل في هذا كله يجد تفوقاً ظاهراً في التشريع الاسلامي على التشريع الأوربي في القرن العشرين).

ولا شك ان ذلك هو الجدير بشريعة جاءت مكمله لما كان في الشرائع قبلها من نقص بعد أن استعدت الأمم لتلقي هذا الكمال ونضجت لتقبل أسمى المبادئ، وأشرف الغايات والمقاصد.

روي انه ﷺ قال:-

«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني داراً فأكملها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها فأعجب بها قال: ما احسن هذه الدار إلا موضع هذه اللبنة، فأنا اللبنة، بي ختم الأنبياء والمرسلين».

ومن مميزات الشريعة الاسلامية ان كافة احكامها وتكاليفها مبنية على مبدأ المساوات، إذ كلف بها الافراد والجماعات بلا تمييز.

فأحكامها وعقوباتها وحدودها لا يستثنى منها غني واسع الثراء ولا امير عريض الجاه ولا خليفة تدين له الخلائق بالطاعة والامتثال.

فالمسلمون كلهم متساوون في الحقوق والواجبات، وفي التكاليف و الأحكام والقوانين.

نقود هذا المبدأ من يوم أن بزغت شمس الاسلام وسطع نور الهداية السماوية.

ومن مميزات اعتبار كافة النصوص الشرعية موجهة إلى الامة كلها ما لم يدل دليل على الخصوصية.

بهذا المبدأ العظيم عزت نفوس المسلمين، وسمت همهم، وعظمت أخلاقهم، وبرزت فيهم قوة الشخصية والمواهب، ونجم فيهم الرجال قادوا الامة الاسلامية إلى أوج المجد والرفعة. وساسوا العالم كلها بالقسط والرفق والرحمة.

وتلك هي روح الاسلام التي بها دخل الناس في دين الله أفواجا، وكانوا حماة وانصاراً.

ومن خصائصها الاخرى وميزاتها التي ميزتها انها قامت على الاخلاق المرضية، والفضائل المرعية، وخشية الله ومحاسبة الوجدان والضمير في كل ما يصدر عن الانسان.

وليست قوانين افلاطون، ولا الشرائع الرومانية، ولا القوانين الغربية الحديثة بمستطاعة أن تجار الشريعة الاسلامية في هذا السمو الخلقى الذي بنيت عليه جميع التصرفات والمعاملات وما يصدر عن الانسان من قول أو عمل.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوْا اَعْدِلُوْا هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى﴾. (١)

ولقد امتازت هذه الشريعة المباركة باقتصار تشريعه التفصيلي على الامور الثابتة التي لا تختلف باختلاف الامم والعصور.

وأما الحوادث الجزئية، والاحكام الفرعية التي تختلف باختلاف الاحوال والامم، فانه لم يتناولها إلا بقواعد كلية، ومقاصد عامة، ليترك الباب مفتوحاً لاهل الاجتهاد من كل امة وفي أي عصر، ليستنبطوا من الاحكام ما يحقق مصالح العباد ويتفق مع حاجاتهم.

ومن ابرز مزايا هذه الشريعة وخصائصها يسر احكامها، وسهولة تكاليفها، ومسايرة أوامرنا ونواهيها للطبيعة البشرية، والفطرة الانسانية التي لم يسمها رجس، وليس في ذلك شيء يفتها، ولا حكم يشق عليها، ولا غرو، فهي شريعة الرحمن الرحيم، وتنزيل من الخير العليم.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا﴾. (٢)

﴿يُرِيْدُ اللّٰهُ بِكُمْ اِلْسَرَ وَلَا يُرِيْدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾. (٣)

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

وهناك مواد كثيرة في أمور متعددة ذكرت للتخفيف اسباباً وهي كالمرض وما يتعلق به، جواز التيمم عند الخوف على نفسه، والقعود في صلاة الفرض، والفطر في رمضان و.... الخ.

والسفر ومما يتعلق به قصر الصلاة الرباعية والفطر في رمضان.

والنقص وهو نوع من المشقة، لأن النفس مجبولة على حب الكمال، فناسب التخفيف في التكليف ومما ترتب على ذلك عدم تكليف الصبي والمجنون. وعدم ما يجب على الرجل كالجهاد.

ان هذا التيسير والتساهل في الشريعة الاسلامية، وهذه الرخص التي اتت بها تخفيفاً على العباد في مواطن الحرج والمشقة إحدى مزايا الاسلام ومما يعد آية على انه جاء رحمة للعالمين.

ومما تتميز بها أيضاً توفيته بمطالب الجسد والروح معاً في حدود الاعتدال، فهو وسط جامع لحقوق الجسد والروح ومصالح الدنيا والآخرة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(١)</sup>.

فالاسلام جعل المسلمين بتعاليمه هذه وسطاً بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادية، وبين الذين تغلب عليهم التعاليم الروحية، وتعذيب الجسد، واذلال النفس، وهذه مزية تشهد لها بمراعاتها الفطرة الانسانية السليمة، وتحقيقه مصالح العباد، وتهيئة اسباب السعادة لهم في الدنيا والآخرة.

ولا تقتصر الشريعة الإسلامية في أحكامها على أعمال الإنسان الظاهرة، وارتباطها بغيره، ولا يكتفي بأثر الشريعة الدنيوية، ولا بالحكم المنصوص عليه في القانون الواجب التطبيق في الظاهر - كما هو شأن القوانين الوضعية العامة - بل تتبع بواعث ونية العامل، فيحكم عليه حكماً أخروياً يناسب النيات والبواعث الباطنية من مثوبة أو عقوبة أخروية.

وهذا شأن التشريع الكامل الذي يقصد إلى الإصلاح الحقيقي المؤدي إلى إصلاح القلوب وتهذيب النفوس فتجري المعاملات بين الناس على أساس صالح من مراعات العدل والحق.

وبذلك تجعل الإنسان - في كل ما يصدر منه - تحت رقابتين الخشية من الله، والضمير. ثم الخشية من أحكام القانون.

وللتوضيح نذكر على سبيل المثال:

ان عقد الزواج له حكمان إذا وقع مستوفياً أركان وشروطه:

(أحدهما) أثره المترتب عليه، وهي تلك الحقوق والواجبات التي أثبتت

لكل من الزوجين على الآخر؟

(وثانيهما) وصفه الشرعي الذي يرجع إلى نية العاقد والباعث له على

الزواج.

فقد يكون هذا الزواج حراماً يعاقب المتزوج عليه في الآخرة إذا يتفق ظلمه

لزوجه، أو نوى بزواجه الإساءة إليها، أو لذوي قرباها.

لأن الزواج انما شرع لتحصين النفس، وبقاء النسل، وتحصيل الثواب... الخ.

وهو بالجور يرتكب المحرمات فتفوت المصلحة التي من اجلها شرع الزواج، لرجحان المفاسد الناجمة من الجور عليها.

وقد يكون فرضاً يثاب فاعله، ويعاقب تاركه إذا كان الزوج مع قدرته على واجبات الزوجية يتيقن الوقوع في الزنا إذا لم يتزوج.

ويكون سنة مؤكدة حال الاعتدال فيأثم بتركه، ويثاب ان نوى تحصيئاً.

ومن أوضح الدلائل، وأقوى الحجج على ان الشريعة الاسلامية سمحة هو أفرادها حرية الرأي والاجتهاد في التشريع ما روعيت اصوله، وتحققت دعائمه وشروطه- اتساع باب العقوبات وتعدد وجوه العزير فيها.

فان العقوبات ان كانت مقدره من الشارع على الجرائم المجترحة سميت حدوداً، وهي التي وردت في القرآن في حد الزنا، والقذف، والسرقه، وقطع الطريق.

أما إذا كانت غير مقدره من الشرع ويجب بارتكاب معصية من المعاصي التي لا حد لها، كشهادة الزور، وايداء مسلم أو ذمي يقول او فعل، ومنه سب المحصن بغير الزنا، والنظر إلى الأجنبية والخلوة بها، وسرقه مالا قطع فيه.

وتعزيز العقوبات على المعاصي والمحرمات، او ترك الواجبات التي لم يرد في النصوص الشرعية عقوبة معينة لها- يرجع إلى اجتهاد الأئمة واولي الأمر في كل زمان ومكان.

١٦٠ ..... الأيمان والعلم الحديث

وتختلف باختلاف أحوال الجرائم وكبرها وصغرها، وبحسب حال المذنب نفسه.

ولذلك كان التعزيز من أوسع الأبواب في الشريعة الاسلامية.

ولا يخفى ان الشريعة الاسلامية تسع كل ما يقر العدالة، وينشر- ظلها على الناس.

فوجب جعلها الدعامة الأولى، والأساس الأول، في تشريع القوانين، ولا شك أن فيها غني عن كافة القوانين الأخرى، مدنية كانت أو جنائية.

ومما يميز الشريعة الاسلامية، ويفضلها على بقية الشرائع، انها جعلت العرف أساساً من أسس التشريع، إذ لم يخالف نصاً صريحاً حتى جعل الفقهاء الاسلاميون العرف والعادة قاعدة من قواعدهم، بنوا عليها كثيراً من أحكام الفروع الفقهية، وجرت على ألسنتهم في عبارات مختلفة لفظاً متقاربة مآلاً ومعنىً.

هذا ويندهش من تطوع على كثرة المسائل الفقهية، والأحكام التشريعية، التي بناها علماء التشريع الاسلامي على العرف والعادة، إذا اعتبروهما أساساً من أسس التشريع وفق شروطها اللازمة لها.

ولا مجال للاندعاش متى ما علم ان القانون الصالح هو الذي تراعي فيه أحوال الأمة الاجتماعية والاقتصادية وعاداتها العامة، على ألا تكون في ذلك اقرار مفسدة، أو تعطيل مصلحة.



ومن جهة أخرى: فان النزاع من العادة الظاهرة، واقصاء الناس عن العرف العام- في غير حاجة وضرورة- فيه جرح لهم.

ولا شك ان أصلح الشرائع، وأجدرها بالبقاء ما روعي فيها اليسر- وانتفى منها الحرج والعسر-، وذلك ما لا تحققه أي شريعة في العالم سوى شريعة الاسلام.

فما بالننا نظلم الاسلام؟. ونظن به العصبية والجمود؟.

ما بالننا نستحي به؟ ونحسبه يعود بنا إلى الوراء؟.

والاسلام مذ كان دين سماحة وعقل وتقدم!.

ألا لقد آن أن نفهم الاسلام على وجهه، وان نعرفه على حقيقته، ونأخذه من منابعه، لا من أفواه الناس، ولا من أشياء الكتب. وان نعتز بالانتساب إليه، وان نرفع الرأس فخرًا، وأن نجعله أمامنا في حياتنا، وان نكون من حزبه.

﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

ام محمدًا ﷺ علمنا معنى العزة، والكرامة، وعرفنا قيمة العقل، والعلم...

وشرع الاسلام لنا شرعة الايمان، والعدل، والاحسان...

فلنعد إلى ما شرع الله على لسان نبيه الكريم، ولنفتح في التاريخ صفحة مجد وسمو ونبيل للانسانية. الا انها كلمة صدق!.

١٦٢ ..... الأيمان والعلم الحديث

الا انه لا تصلح هذه الامم، ولا يسود هذا العالم شيء من السلام والسعادة  
مالم يهتدوا بهداية السماء، ولم ينجو مما وقعوا فيها من المهالك والاطار إلا  
باتباع شريعة الاسلام.

فانهم ان ابتغوا العزة بغيرها ذلوا.

من لنا بأن نجتلي هذه المثل العليا وأمثالها في سيرة من بلغت الانسانية على  
الناس بلسانه لتكون لنا نوراً وهدى في مثل هذه الظلمات التي يتخبط فيها  
الناس.

وما لنا إلا أن نطلب من رب السماء أن يلهمنا الصواب، ويسدد خطانا في  
طريق الحق، ويهيء لنا من أمرنا رشداً.

## الاسلام والمبادئ الاخرى

لا غرابة ولا عجب في أن يتفق مع الاسلام بعض المبادئ الدينية الأخرى في أنواع من أعمال البر والخير لا جميعها، ولكن مما لا شك فيه انها تختلف عنه في المبادئ الاساسية، وان كانت تشترك معه في سائرها.

وهذه إحدى مزايا هذا الدين الجليل... والإصلاح الذي قام به الاسلام أدى إلى نتائج كبيرة، ولأجله نجد أن المصلحين في الامم أو الذين يدعون إلى الإصلاح في مبادئهم المتنوعة، التي يا ما أكثر واكثر اسماءها في هذه الايام الاخيرة يحاولون السلوك بمقتضى خطته.

وقد أهدتهم بحوثهم وتتبعاتهم إلى ذلك، فالفرنسيون قبلوا بعض مبادئ الاسلام الاخلاقية في قوانينهم، وهكذا أخذ الامريكيون والانجليز قسطاً منها، وهكذا أخذت المبادئ العالية الاخرى كلها قسماً من الاسلام.

ولم يكن هذا بدليل على أن المبدأ الذي أخذ من الاسلام شيئاً هو الاسلام بعينه.

فالاسلام دين عقيدة، ومبدأ توحيد، ومذهب تعبد الله تعالى، وطريق سلم، وهداية إلى كل ما فيه خير الدارين.

بينما المبادئ الاخرى لم تأخذ في وجهة نظرها، إلا ما دار مآله إلى الدنيا فقط، وهذا هو أهم الفروق التي تميز الاسلام عن مبادئ الديمقراطية أو الاشتراكية أو الفاشية أو النازية أو أي مبدأ آخر مما لا مبرر لذكر اسمه هنا.

فقد جمع الاسلام في قوانينه أهم أصول القواعد للأخلاق الاجتماعية في العالم التي تؤدي إلى العدالة التامة والمساواة والأخوة بين الناس:

فمنها الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وبهذا الأصل ينبغي على المسلم مكافحة أي مبدأ، مهما كان نوعه دون الاسلام، حيث: أن الدين عند الله الاسلام، ومن يتبغي غير الاسلام ديناً لن يقبل منه.

ومنها التواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

والمقابلة بالمثل، والصفح عند المقدرة، والدفع بالتي هي أحسن والتعاون على البر والتقوى، لا على الاثم والفسوق.

وكظم الغيظ.

والوفاء بالعهد.

وأداء الأمانة إلى أهلها.

والاحسان بالوالدين وبذي القربى، اليتامى، والمساكين، والجار ذي القربى، والجار الجنب، والصاحب بالجنب، وما ملكت الايمان والتضحية في سبيل الله.

والأخلاص في العمل لله.

والعمل في سبيل مرضاة الخالق لا لمرضاة المخلوق وحده.

والصدق، وغيره من الصفات الحسنة الأخرى.

هذا، والمنهيات والمحرمات مما يتعلق بالجماعة والمجتمع:-

كالكذب، ونقض العهود، والخيانة، والقتل، والزنا، والخمر، والميسر،  
والنفاق، والرياء، والربا، وأكل اموال الناس بالباطل / والظلم... الخ.

وأساس هذه آيات كثيرة وشاملة في القرآن الكريم، منها:-

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولهذه أصلا ن مهمان:-

١- الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

٢- السمع والطاعة.

٣- والأصل الأول قانون أخلاقي مهم جداً.

والثاني تطبيقي، فالمسلم الذي بيده الحل والعقد، يأمر وينهي، والمسلم  
الأخر، يسمع ويطيع.

وليس مجال لثمة ريب أو شك في أن امة تمسك بهذين الاصلين إلا نالت  
ذروة المجد..

فالبشرية بمبادئها المختلفة انما تسير بلا هدى ولا كتاب مبين، في حين أن  
القرآن الكريم وجه الاستقامة، وعين السبل التي تحتفظ كيان الامم.

(١) سورة النحل: ٩٠.

فجاء فجاء الاسلام بتعاليمه على ضوء العقل لحماية الخلق من البطش،  
وشرور التنافر، والتنازع، والتطاحن، ولخير الجنس البشري بأجمعه، دون تمييز  
بين ملة وأخرى، ليحيى الناس كلهم في وفاق وسلام.

ونظام الدولة الاسلامية هو عكس ما عليه النظم الحالية للدول في الوقت  
الحاضر.

فلم تكن مجموعة من المصالح والغايات المتضاربة.

ولم يكن فيه كما في المبادئ الدينية الأخرى الحديثة منها والقديمة من مآرب  
شخصية، بل فيه أسمى الأغراض، وأنبأ الغايات التي ترمي إلى اسعاد البشرية  
عامة، والذي يجزم يقيناً انه يخدم المجتمع حقيقة مراعيّاً في ذلك التجرد من  
الغايات الشخصية.

فالاسلام دين برهن بما لا يقبل الجدل والمراء، بأنه دين التقدم والمدنية الذي  
بأمر اتباعه بالصرط المستقيم، والطريق الاوسط والاعتدال في الامور، فلا  
تقتير، ولا اسراف.

فلا يدعو الاسلام بالرهبة كما تدعو اليها المسيحية!. ولا يدعو بالانغماس في  
الشهوات البهيمية كما تدعو اليها الامم الاوربية. الآخذة في الانحطاط  
والتلاشي.

فالاسلام يدعو الى الاعتدال في كل شيء.

فهو يدعو إلى التفكير في حياة الآخرين وامورهم، كما يفكر الانسان المسلم

في حياته واموره بقول النبي ﷺ :-

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه».

وحيث أن الحياة شبكة مرتبطة الاطراف واحدة لا يمكن لمن كان داخلها بالاعتماد على نفسه في كل شيء مهما حاول، لأن الطبيعة تسوقه حتماً إلى الالتجاء إلى الغير، لأنه مخلوق مدني بالطبع.

والاسلام بصفته آخر الاديان وأحدثها لن يتحجر لئلا يصبح قديماً ويبلى، فهو دين تطور بتطور الازمنة والظروف، بخلاف المبادئ الدينية الاخرى التي لا تكون إلا زمنية لا يصلح إلا لزمان الوقتي المحض.

وهنا سر الفرق الذي يفصل بين الاسلام والاديان والمبادئ الاخرى والاسلام يسعى ويعمل ليكون الفرد: متعلماً، مثقفاً، مستقلاً، شاعراً بكرامته، وقوته ومركزه (اريستوقراطياً) وهو في الوقت نفسه احد افراد جماعة (ديمقراطية).

ولا اظن أحداً ينكر بأن يكون هذا المثل الأعلى للانسانية التي تجمع بين حسنات (الارستقراطية، والديمقراطية) في وقت واحد.

فالديمقراطية الحقبة التي جاء بها الاسلام، وثبت قواعدها عملياً بما وضعه من نظام اجتماعي كامل.

فيقول الفيلسوف (فيخته):-

(ان الهدف الذي يجب على الانسانية أن تسعى اليه وتعمل له هو ايجاد- جماعة مفكرة حرة الارادة-).

أو ليس هذا هو نفس - الارستقراطية الديمقراطية - التي دعا اليها الاسلام،  
وعمل على ايجادها؟.

فهذه الافكار الديمقراطية لا يمكنها أن تعيش إلا بالتسلح والحرية  
الروحية!. وقد دعا إلى ذلك بكل حماس واخلاص كثير من فلاسفة الانجليز  
امثال: (لوك، وهيوم، وشافطسيري).

ومن الفرنسيين مثل: (فولتير).

ومن الألمان مثل: (ليسنج، ومندلسون).

ويرى (ليسنج) ان الموسوية والمسيحية والاسلام حلقات متصلة بعضها  
تكون وحدة تامة.

وهل يقول الاسلام غير ذلك؟.

والاسلام يعني الاستسلام إلى ارادة الله تعالى بالاضافة إلى كل ما فيه من  
الحسنات والمميزات.

وهذا ما دعى الفيلسوف والشاعر السياسي والعبقري العظيم أن يكون  
أقرب الغربيين إلى الاسلام في مبدئه.

وهذه المبادئ الحقيقية في الاسلام هي التي دعت اعظم كتاب أوروبا المدعو  
(برناردشو) أن يقول:

(ان انكلتره بل اوربا لو احتاجت إلى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة اليه من  
دمار محقق وهلاك لا مناص منه فليس امامها الا الاسلام).



فقد رأى هذا المفكر ان الاسلام هو دين العقل، والمبادئ العملية السامية.

دين مجرد من التحيز والتعصب.

دين يحفظ للأسمايين امواهم، ويجعلهم مسلطون على امواهم وانفسهم حيناً، ويوجب عليهم دفعها للمستحقين حيناً عند اقتضاء الضرورة ويجعلهم يضحون بهذه الأنفس الغالية حيناً أن دعى الى ذلك داع. فالاسلام رأسالي لحرية الفرد على أمواله داخل نصاب معلوم، وحقل محدود.

والاسلام اشتراكي، لفرضه في اموال الاغنياء والاثرياء حقاً للسائل والمحروم يدفعونها بطيب خاطر بعضهم للبعض غير ناسين فيما بينهم الفضل والرحمة والشفقة والمروءة والمعاونة والمساعدة في كل حين.

فالاسلام هو دين التوحيد الذي يدعو إلى رسالة الحق ومحافضة الحقوق بين الناس، ويهديهم خير السبل، ويرجعهم الى حظيرة الايمان ويبين لهم وسائل الحياة على افضل الطرق واجداها نفعاً في العصر الجديد ويؤمن للعالم سعادة الدنيا والاخرى في وقت واحد.

وليس في الاسلام من حرج وكل مباح لا يتعارض مع المنطق السليم مباح.

وكلم ما يغلب نفعه على ضرره فمباح، والعكس بالعكس.

ويستحيل على احد ان يجد مبدأ كالاسلام فيه الحرية بمعناها، ولا قانوناً كالاسلام يوزع المال بين الافراد بطيب من الخاطر، محافظاً على ما في ايدي كل منهم غير مكبت في الناس غريزة حب التملك التي تكاد تكون من اقوى الغرائز البشرية التي حافظ عليها السلام، وانمى بجانبها حب البذل والانفاق والكرم،

وافسح بين ذلك المجال للعمل برغبة ونشاط، وسن قانون الارث، والصدقات، والكفارات، والزكوات، وبيت المال، لتأمين وضمان الحياة الاجتماعية للافراد والمجتمعات.

فكل ما ينشده أصحاب المبادئ الشخصية من الاصلاح موجود في الاسلام الذي به وحده ينجو البشرية من أهوال هذه الحياة الدنيا وبه وحده يكسب رضاء الخالق للدار الأخرى.

فما الدين إلا الاسلام، ومن ابتغى غير الاسلام ديناً فلا ضمان لحياته الاجتماعية، ولا لحرية، ولا لكل شيء يتغيه.

١ - ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿١﴾.

٢ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾. (٢)

٣ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾. (٣)

٤ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَعْتَابِهِمْ حَافِظُونَ﴾. (٤)

٥ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾. (٥)

٦ - ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾. (٦)

---

(١) سورة المؤمنون: ١-٢.

(٢) سورة المؤمنون: ٤.

(٣) سورة المؤمنون: ٣.

(٤) سورة المؤمنون: ٥.

(٥) سورة المؤمنون: ٨.

(٦) سورة المؤمنون: ٩.

## الحشر وعاقبة الحياة الدنيا

هل الحشر من الأمور التي تعلوا على الفهم بحيث ينبغي لنا أن نؤمن به بدون بحث؟.

هل الحشر من الأمور التي للعقول مجال للبحث فيها؟.

هل أذعن العالم منذ القدم بعقيدة الحشر أم عرفها وأذعن بها حديثاً؟.

الحشر وان كان متوقفاً على السمع بحيث لا يمكن للعقل أن يستقل بأدراكه لو لم تأت به الرسل، ولكنه من القضايا التي تدعن لها العقول وتسلم بها ما دامت تؤمن بالله ورسله.

فان الله الذي أوجد هذا العالم على هذا النظام الدال على انه حكيم عليم قدير لا يشك عاقل في انه لا يصح لذلك الاله ان يهمل هذا العالم بدون حساب، ولا عقاب، ولا جزاء، كما لا يصح أن يهدم ذلك البناء الرائع بدون أن يجد أحسن منه.

ومن له قصر منيف بديع الصنع ثم سلط عليه معاول هدمه بدون أن يجدده، وعزم على تركه خراباً، فانه يكون سفيهاً دون شك في نظر العقلاء.

وكذلك من له رعية يأمرها وينهاها من غير أن يجزي محسنها، ويؤاخذ مسيئها، فانه يكون عابثاً لا قيمة لأمره ولا نهيه.

ولو ان الانسان تأمل في أجناس المخلوقات من حيوان، ونبات، وجماد، فانه يجدها تتطور في وجودها.

فالجماد بالعمل فيه يرقى إلى نبات، والنبات يرقى إلى حيوان وانسان لأنه يصير جزءاً من أجسامها بعد أكله، والحيوان يرقى إلى إنسان، لأنه كذلك يصير جزء منه بعد أكله.

فالعقل في هذه الحالة لا يسعه إلا أن يقيس الانسان الذي هو أفضل أنواع المخلوقات على باقي الأجناس.

إذ لا يصح أن يحرم هو من الرقي وهي ترقى، فلا بد له من حياة أرقى من هذه الحياة مادياً وأدبياً.

إذ ليس من المعقول أن يكون هذا النوع المفكر العالم الذي كان سبباً في تعمير الأرض وسخرت له جميع العوالم يفنى لا إلى نهاية، وينعدم كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً.

وهذا المعنى ضروري، يجده كل عاقل من نفسه، والعقول التي تجحد ذلك إنما يغلب عليها الأباحة، ويتملكها حب الحصول على القسط الأعلى من اللذات العاجلة.

فهي تنكر الحياة الآخرة لما يترتب على اطلاق العنان لشهواتها من المؤاخذه والعقاب في تلك الحياة.

وذلك خسران واضح، وضلال مبین.

فانه لا ينبغي أن يكون الانسان المتّصف بالصفات التي تقتضي الخلود والبقاء الدائم من العلم والعقل والتفكير، كالحشرات التي توجد وتعدم دون عودة.

بل يكون على التحقيق كالسراب الذي لا وجود له أصلاً.

فان الوجود الذي يعدم لا إلى نهاية كلا وجود، من أجل ذلك كانت عقيدة حشر الناس بعد موتهم غالبية على كل الامم، وجاءت بها جميع الشرائع، ولم يشذ سوى طوائف قليلة لا تأثير لهم على النفوس في ذلك، ولا قيمة لهم في الوجود. وكفاهم مقتاً وذمماً. انهم زنادقة ملحدون خارجون على الله وعلى رسله. واضعون اسس الاباحة والفوضى في كل زمان ومكان.

وبعد اثبات وجود الاله المتّصف بصفات الكمال، والمنزه عن صفات للنقص، وثبوت وجود رسل جاؤا بتوحيد ذلك الإله وتنزيهه عما لا يليق به، فان تصديقهم في كل ما يبلغونه عن ربهم يكون ضرورياً لا يحتاج إلى نظر واستدلال، لأنه مبني على انه من عند الصادق المعصوم عن الكذب والخطأ والنسيان في كل ما يبلغ عن ربه.

وقد أجمع الرسل في كل زمان ومكان على الأخبار بأن للانسان حياة أخرى، وان لا بد أن يبعث ثانياً بعد الموت، وتستمر حياته بعد ذلك بلا انقضاء، وهو مع تلك الحياة المستمرة اما سعيد في نعيم خالد وملك دائم، وأما شقي في عذاب أليم.

ذلك ما أخبر به الرسل جميعاً.

وقامت البراهين القاطعة على صدقهم.

فوجب على من يؤمن بهم أن يجزم بما جاؤا به من ذلك، ومن لم يجزم به كان كافراً بهم قطعاً.

فمن ينكر الحشر والبعث بعد ما أخبر به الصادق الأمين، وجاء به كتاب الله تعالى المتواتر فليس بمسلم.

كما انه لا يدين بدين، لأن جميع الأديان قررت الحياة الآخرة وان اختلفت في كيفيتها.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

والذين ينفون أمر المعاد إنما كلامهم على محض الاستبعاد، فانهم يقولون كيف تجتمع اجزاء البدن بعد التفرق والتشتت العظيم، ولا سيما من قطعت اوصاله وفرقت في مواضع متباعدة، وصار كل ذرة منها في مكان وكل جزء في قطر من الاقطار.

ألم يعلم هؤلاء بأن المنى فضلة الهضم في عملية التغذية، وتنبث هذه المادة في اطراف الأعضاء كالطل والقوة الشهوانية تجمع تلك الأجزاء الطلية في اوعية المنى بعد تشتتها وانبثاقها في جميع الأعضاء.

ألم يعلموا ان المنى تولده الأغذية المتعددة التي كانت منبثة في أقطار العالم.

---

(١) سورة المؤمنون: ١١٥.

والاغذية من العناصر المتشعبة المتباعدة.

فالذي جمع تلك الاجزاء المتباعدة المتفرقة المتشعبة قادر على جمع اجزاء البدن بعد التشتت والتفرق واليه الاشارة بقوله تعالى:

﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

العجب كل العجب لمن أنكر النشأة الاخرى وهو يرى النشأة الأولى.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخُلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

ومما لا شك فيه ان العقل السليم يدفع الانسان بالاعتقاد ان هذا العالم لم يخلق عبثاً، ولما كان خلقه بغير عبث وجب الازعان بعقيدة الحشر والنشور.

فما هو الحشر! وما هو المعاد!؟.

الحشر او المعاد: يعني ان هناك يوماً قد تنتهي فيه الحياة الاحياء كلها، ولم يبق بعده موجود من الاحياء على وجه الارض من انسان أو حيوان او نبات... الخ.

﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٣)</sup>!

وفي ذلك اليوم يحاسب كل امرئ على ما فعله في دنياه أي في نشأته الاولى ليعاقب ان كان مسيئاً، ويثاب ان كان محسناً.

فهناك العدالة تتجلى بتام معناها وكمال حقيقتها.

(١) سورة يس: ٧٩.

(٢) سورة العنكبوت: ١٩.

(٣) سورة الرحمن: ٢٧.

وفي ذلك المعنى السامي، وتلك الحقيقة الواضحة تتجلى اسرار نظام الحياة الدنيا، وتبدو اساس القوانين المعيشة والعمل في النشأة الاولى.  
ومن البديهي لولا هذه النتائج الثابتة لما اطاع الانسان أوامر ونواميس الاديان في الدنيا.

ولو لا هذه العقبة لما كان للانسان رادع عن ملذاته الدنيوية، ولا مانع من اشباع رغباته وشهواته الحيوانية، ولا حاجز امام اعتدائه للانسانية، ولا سبيل بينه وبين اطماعه وتحقيق آماله بازهاق حقوق غيره من افراد المجتمع البشري.  
فهذه العقيدة يمكن ان يكون من الانسان اخاً للانسان وساعياً لما فيه الخير الانسان ودافعاً لما يجلب الشر للانسان.

وهذه المرحلة هي التي تخلق في النفوس البشرية محاسباً من ضميرها يحاسبها عن كل صغيرة وكبيرة يعملها في دنياه.  
وهذه النظرية الفذة هي التي تكون في نفوس البشر قوة تنفيذية لكل اعمال الخير التي فيها صلاح البشر.

وبهذه العقيدة السامية تزداد حسنات الناس، وتقل سيئاتهم، ولولاها لما خطا هذا الانسان خطوة واحدة لغير مصلحته الشخصية ومنافعه الفردية.  
فالمعاد والحشر والنشور من الامور اللازمة التي لا بد منها ولا يمكن لذي لب ان يدع للشك فيها مجالاً في نفسه. ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.



﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾. (١)

ولا بد من ان نعلم شيئاً مما يوصف به هذا اليوم الرهيب، وكيف تنتهي تلك اللحظة الأخيرة من هذه الحياة الدنيا، وهل يستطيع العالم الحديث أن يؤيد لنا هذه النظرية التي فيها حياة الافراد وسعادة البشر.

يصفه الله تعالى في كتابه قائلاً:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾. (٢) ومما وصفه فيه ايضاً قوله تعالى:

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾. (٣)

وقوله سبحانه وتعالى ايضاً:

﴿إِنَّا تُوْعَدُونَ لَوَاقِعٍ﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْتَتْ﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿. (٤)

هل يمكننا العلم الحديث بتصديق ما يمكن ان تعتري الشمس والنجوم والسما والكواكب بهذه التغيرات الهامة؟.

(١) سورة الانفطار: ١٧-١٩.

(٢) سورة التكوير: ١-٣.

(٣) سورة الانفطار: ١-٣.

(٤) سورة المرسلات: ٧-١٤.

هل يمكن أن تفنى كل الاحياء التي على وجه الارض أو في البحار أو في الهواء في لحظة واحدة؟.

هل يمكن أن يحترق كل سطح الكرة الأرضية بسرعة هائلة؟.

أيمكننا العلم من تصديق انفجار الشمس وفناء الارواح معلنة بتلك التغيرات انتهاء آخر لحظة من حياة الدنيا وابتداء حياة جديدة اخرى؟.

نعم، كل هذه الامور يمكن للعلم الحديث أن يجد لها سبيلاً.

فيقول الاستاذ (بروس بليفن) فيما عربته مجلة (المختار) في مجلدها الاول وعددها الرابع عن مجلة (نيوز بليك):

«يتخذ البشر اساليب كثيرة لينقلبوا عن أمر ما يحيط بهم من ظواهر الطبيعة، ولكن ليس بين العلوم علم يحدث في النفس من الشعور بالعظمة - والصفة ايضاً- مما يحدثه علم الفلك وقد قطع العلم في هذا الميدان شوطاً بعيداً، فأصبحنا نعلم».

«ان الكون أرحب واعظم مما كنا نتخيل منذ سنوات قلائل، حتى نكاد ننكر ما وصل اليه العلم».

«ان الاجزاء النائية من الكون تندفع في الفضاء بعيداً بسرعة مخيفة، كأنها قد بعثها انفجار هائل».

(وان السماء ذت النجوم ما هي إلا واحدة على الاقل من ملايين امثالها من المجموعات النجمية المنتشرة في الفضاء في جميع الانحاء).

(وفي السماء ستة آلاف نجم يمكن ان تراها العين المجردة، ولكنها لا ترى إلا نصفها فقط في أي وقت من الاوقات).

(وقد انتهى رأي علماء الفلك إلى ان مجموعتنا النجمية قد تشتمل على مائة بليون من النجوم بعضها اصغر كثيراً من شمسنا، وبعضها اكبر منها اضعافاً مضاعفة، وهذه المجموعة النجمية، التي يسميها علماء الفلك (المجرة) هي من الضخامة والسعة بحيث يقضي شعاع الضوء الذي ينتقل بسرعة (١٨٦،٠٠٠) ميل في الثانية مائة الف سنة في مسيره من احد طرفيها إلى الطرف الآخر).

كان بعض التقدم المدهش في علم الفلك نتيجة لا استخدام وسيلة تعدد، في ايسر اشكالها مما يلهو به الاطفال، فانك اذا وضعت منشوراً (بلورة مثلثة) على حافة النافذة في ضوء الشمس المشرقة، فانه يعكس على الجدار مجموعة من ألوان قوس قزح.

(وهذه الألوان (الطيف الشمسي) تظهر دائماً مرتبة على نسق لا يتغير من البنفسجي إلى الاحمر، وكل لون منها تمثله امواج ضوئية من اطوال مختلفة. فيلقي المنشور هذه الالوان مصنفة طبقاً لهذا الاختلاف في طول الامواج الضوئية).

(والعناصر الطبيعية على اختلافها ترمي باشعاعها في امواج مختلفة الطول، ولذلك صار من الممكن بمعونة المطايف - جهاز تحليل الطيف وداراسته - ان نحدد نوع العناصر الكيميائية مصنفة طبقاً لهذا الاختلاف في طول الامواج الضوئية).

(وبهذه الوسيلة يستطيع الفلكيون ان يثبتوا لنا على وجه التحقيق ان معظم العناصر الاساسية التي نجدها في ارضنا- البالغ عددها ٩٢- موجودة في جميع الاجرام السماوية، في كل ناحية من النواحي، حتى لقد عرف وجود احد هذه العناصر في بعض النجوم، قبل ان يعرف وجوده على الارض).  
(فمادة الهليوم قد اكتشف اولاً في الشمس).

(وقد يسر- التحليل الطيفي للعلماء ان يقدروا درجة حرارة النجوم حتى استطاعوا ان يقدروا درجة حرارة النجوم البعيدة، وذلك الاشعاع المنبعث من جسم متوهج يختلف باختلاف درجة الحرارة، فهو يبدأ بلون أحمر، ثم يمضي من الأصفر والأبيض إلى الأزرق، وبذلك يجاري بوجه عام ترتيب الألوان في الطيف).

(ودرجة حرارة سطح الشمس تبلغ نحو -٦٠٠- درجة مئوية أو- ١٠٨٠٠- بمقياس فهرنهايت. أما درجة حرارة باطنها فربما ارتفعت إلى أربعين مليوناً بالمقياس المئوي).

(وحين ينفجر نجم على بعد ملايين الملايين من الأميال فأنا لا نجد فيه شيئاً إلا انه منظر من مناظر السماء).

(أما إذا حل مثل هذا الخطب بشمسنا- وليس بينها وبيننا سوى ٩٣ مليوناً من الأميال- فان هذا يكون الكارثة القاضية على الانسان وعلى جميع أعماله).

(فلا تكاد تصل الينا أول موجة من الحرارة والاشعاع المنبعثة من الشمس (وذلك في ثماني دقائق ونصف الدقيقة) حتى يهلك، بمرة واحدة كل شيء حي

في الهواء والارض والبحار، ويحترق كل سطح الكرة الأرضية بسرعة هائلة، فما ندري ماذا دهى الأرض فدكها دكة واحدة!!).

(فما مبلغ احتمال وقوع مثل هذه الكارثة؟).

(والواقع انه ليس من الضروري أن تنفجر الشمس لكي يقضي- على جميع مظاهر الحياة، بل قد يكفي أن يتغير اشعاع الشمس بمقدار لا يتجاوز واحداً في المائة زيادة او نقصاً).

(وسيكون هذا في الغالب، قبل ان تبلغ الشمس نهاية بقائها بزمن طويل).

(ولا بد يوماً ما، من أن تصبح الشمس باردة برودة تصير فيها الحياة على سطح الارض أمراً مستحيلاً، حتى ولو بقيت الشمس بعد ذلك مضيئة ملايين السنين).

(فاذا فكرنا في الخطر الذي قد نجم عن تقلبات تعتري الشمس، فتهلك بسببها الارض ومن عليها في دقائق أو ساعات معدودة، فانه لما يهدىء بالنا. ان نذكر ان الشمس والكواكب السيارة التي تدور حولها جميعاً، حديثة العمر بحسب التقدير الفلكي).

أليس في كل هذه المكتشفات العلمية الحديثة التي نقلنا نبذة مختصرة منها دلائل قاطعة في معنى قوله تعالى:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ\* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ\*﴾<sup>(١)</sup>.

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ\* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انشَرتْ\* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾. (١)

ألا يمكن لهذا الانسان أن يصدق امكانية وقوع هذه الحوادث الفجائية التي ستسبب انتهاء الحياة لكافة الاحياء على وجه هذه الارض في دقائق أو ساعات معدودة؟ والاعلان عن بدأ ذلك اليوم الجديد والحياة الاخرى التي ستبعث فيها من في القبور وستحاسب كل اولئك الناس عما فعلوه في الدار الدنيا هذه ليروا أعمالهم. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ\* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. (٢)

ولا أظن بعد هذا سيبقى ثمة ريب أو شك في امر المعاد والحشر والنشر.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾. (٣)

.... ربنا ما خلقت هذا باطلاً. سبحانك فقنا عذاب النار.

---

(١) سورة الانفطار: ١-٣

(٢) سورة الزلزلة: ٧-٨.

(٣) سورة الروم: ٨.

## الخاتمة

الآن... وقد اشرف البحث على ختامه، لا بد لنا من القول بأن الانسان لا يزال عند باب المعرفة وعلى شاطئها، ويبحث ويدرس اسرار الحياة بجميع نواحيها، رياضية كانت او كيميائية، وفلكية كانت أم فيزيائية.. الخ.

وكلما تقدم في فيافي الاستقصاء، واوغل فيها، تبين له ان الكون وروائع العالم اوسع من ان يحيط بها علم الانسان. ان الكون كله بنجومه التي لا حصر لها، والتي تندفع في جميع الاتجاهات كأنها شظايا قنبلة منفجرة، صورة لا يكاد المرء يتخيلها حتى يدركه البهر وتنقطع أنفاسه.

ولكن... يبدو ان الاجدر بأن يبهر ويقطع الانفاس، وهو رؤية هذا الحيوان البشري الضئيل الذي يعيش على شظية من شظايا نجم صغير، في زاوية من زوايا مجرة لا تختلف شيئاً عن الملايين من امثالها. هذا الحيوان يجروء على ان يسمو ببصره الى اطراف الفضاء النهائية! يجروء فيتحدى، ثم يجروء فيستولي على بعض اسرار هذا الكون العجيب... لانه مكرم منذ خلقه خالقه في البر والبحر، ولانه خليفة الله في ارضه... ولان فيه نفخة من روحه.

ومما لا شك فيه انه كلما ازداد علماً بمعرفة اسرار هذه الحياة ازداد يقيناً بخالق الارضين والسموات. وكلما اقترب من هذه المعرفة ازداد وثوقاً بوجود الهداية من عالم السر والخفيات.

يقول الاستاذ (لويل توماس): (ان صورة العالم بعد الحرب خليقة ان تكون سخرية، مالم يتبوء الدين في نفوس الناس مكانه، ولو انا استمعنا جميعاً إلى ما يهيب بنا من اعمق اعماق روحنا، إذأ لما ذهبت تضحياتنا عبثاً).

فقد علمتنا الضرورة ان انطرح جانباً ذلك الدرس القديم اذا لاح لنا فجر يوم جديد واخذ امل جديد يخلج في كثير من الصدور، وجعل عامة البشر- يحنون إلى الايمان بما هو اخلد من النفوس.

وان الذين قد نسوا الايمان شطراً من الزمن قد اطلوا الآن من فوق رأس المنحدر على مجهول الطبيعة يحضون على نشدان النجاة من عند الله القوي العزيز. وان هذا الظمأ العام الذي يسود الكون كله إلى سلام حقيقي لا يمكن ان يطفأ إلا اذا قام عامة الناس في كل مكان بالدعوة إلى الدين والعمل به.

وقد انتهينا إلى زمن صار فيه لزاماً على اهل الاديان جميعاً ان ينتهوا إلى حقيقة طال اغفال بعضهم لها. وهي ان ينبغي لكل امرئ ان يعمل بالدين، متبعاً لأوامره، ومتجنباً لنواهيه في كل شأن من شؤون الحياة اليومية.

وبالدين القويم تصير حياتهم ارغد واحفل بالخير والسلام.

فاذا آمن البعض وعملوا بما آمنوا به، كان خليقاً ان يمتد ويشمل الدنيا كلها.

وعندئذ يتيسر للبشر ان يعيدوا بناء هذا العالم الذي دمرته الشرور.

ولأن الدين، ككل خير آخر ينبغي ان يشرك فيه الآخرين.

ومما لا ريب فيه ينظر العلماء والنفسانيين، ان الحياة الدينية الصحيحة هي

المثل الأعلى على للحياة.



ومما يقول (دي إلتون تروبلد) استاذ فلسفة الدين بجامعة: (ستانفورد) في كتابه (مأزق الانسان الحديث). (ان المسائل الكبرى التي نواجهها اليوم ليست مسائل الحرب على عظمها، فما الحرب إلا عرض لداء مدنيتنا).

(ان اهم مسألة في زماننا هذا هي المسألة الروحية، فما لم تحل فان مدنيتنا تخفق، بل اننا قد ذقنا طعم هذا الاخفاق في كثير من ارجاء العالم. فعليه ان الوسيلة الوحيدة للتغلب على تحدي شرور الانسانية هي الاهتداء إلى ايمان كاف وهي الاذعان بشيء يستطيع ان يبتعث الحرارة في قلوب الناس ونفوسهم.

وما هي الا الدين والايان به. فلا بد لنا نحن الناس - البشر- من هداية السماء. وما هي تلك الهداية السماوية إلا منحصر في ذلك الدين القيم وهو دين الاسلام. ومن ابتغى ديناً غير الاسلام فقد خسر خسراناً مبيئاً.

فمهما تكن الاخطار التي تواجه الانسانية فأن الايمان بقوة علوية خارجة عن انفسنا يمحو الخوف والشك من العقل. ولزيادة الايمان بتلك القوة العلوية فرضت الأديان الصلاة والدعاء تقرباً إلى رحمتها.

ويمكننا ان نشبه رحمة الله تعالى بمولد كهربائي، وفي وسعنا أن نستمد قوة هذا المولد اذا وصلنا انفسنا به بالدعاء والصلاة، أو نستطيع ان نثبت انه لا اثر له في حياتنا بأن نصل انفسنا به بالدعاء والصلاة. فنحن وما نختار... ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِهِ وَإِنَّ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الانفال: ٤٢.

(٢) سورة البقرة: ٢٠١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الفهرس بالفئيتا

- ❖ فهرس الآيات القرآنية.
- ❖ فهرس المصادر والمراجع.
- ❖ الذوات المقتبس من كلماتهم وآرائهم
- ❖ فهرس المحتويات.



## فهرس الايات

الصفحة	رقم	السورة	الآية
١٢	٩	الزمر	﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا..﴾
١٢	٢٨	فاطر	﴿نَمَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ..﴾
١٣	٢٧	لقمان	﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾
١٣	٢١	الاحزاب	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾
١٤	٣٨	يس	﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ﴾
١٥	٣٣	يونس	﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ﴾
١٦	١٣	غافر	﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾
١٦	١٠٤	آل عمران	﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾
٢١	٢٢	الزخرف	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾
٤١	٣-١	الانسان	﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾
٤٢	٣	الانسان	﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾
٤٤	١٧	الرعد	﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ﴾
٤٩	٢٦٩	البقرة	﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾
٥٠	٤٩	الذاريات	﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾	يس	٣٦	٥٠
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	الانبياء	٣٠	٥١
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاحة	٢	١٣٥ - ٥١
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ﴾	الطلاق	١٢	٥١
﴿وَمِنُ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	الشورى	٢٩	٥١
﴿كُلٌّ فِي فَلاَكٍ يَسُوبِحُونَ﴾	الانبياء	٣٣	٥٢
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾	المؤمنون	١٧	٥٢
﴿وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً﴾	نوح	١٦	٥٢
﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَاجِجاً﴾	النبا	١٣	٥٢
﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾	فصلت	١١	٥٢
﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾	طه	١١٤	٥٣
﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبَغِي الْجَاهِلِينَ﴾	القصص	٥٥	٥٣
﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾	العنكبوت	٤٣	٥٣
﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ﴾	العنكبوت	٤٩	٥٣
﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ عَلَى عِلْمٍ﴾	الدخان	٣٢	٥٣
﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾	البقرة	١٥١	٥٣
﴿إِنَّمَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن﴾	الحج	٤٦	٥٣

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾	فصلت	٥٣	٥٤
﴿فَسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ﴾	النحل	٤٣	٥٤
﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾	الرعد	٣-٤	٥٤
﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً﴾	آل عمران	٨٥	٦٣-٧٦
﴿وَلَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾	النساء	١٤٨	٧٠
﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾	الحجرات	١٢	٧٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ﴾	المائدة	٩٠	٧١
﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾	النساء	٣٦	٧١
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ﴾	البقرة	٢٥٦	٧٣
﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	فصلت	٢١	٧٤
﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ﴾	الشعراء	٢٢٧	٧٤
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ﴾	الحجرات	١٧	٧٥
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاحة	١-٧	٨٠
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	الاحلاص	١-٤	٨١
﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	إبراهيم	١٠	١٠٥
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾	الزمر	٢١	١٠٦
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ﴾	الملك	٣٠	١٠٦

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾	الذاريات	٢٠-٢١	١٠٦
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	آل عمران	١٩٠	١٠٦
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴾	الانعام	٨٣	١٠٧
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾	النحل	١٢٥	١٠٩
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا ﴾	البقرة	٢٣-٢٤	١١٠
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	آل عمران	١٣٢	١١١
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾	القلم	٤	١١٨
﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ ﴾	الانعام	١٤٠	١١٩
﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَفَقْتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾	المدثر	١٨-٢٤	١٢٢
﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ ﴾	النحل	١٠٣	١٢٣
﴿ لِسَانَ الَّذِي يُلْجِدُونَ إِلَيْهِ ﴾	النحل	١٠٣	١٢٣
﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ ﴾	الدخان	١٦	١٢٤
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	الحجر	٩	١٢٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾	النحل	٩٠	١٢٦
﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ ﴾	الحجر	٩٤	١٢٨
﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾	النحل	١٢٥	١٢٨
﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴾	الحاقة	٤٤-٤٦	١٢٨



الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾	الاسراء	٩	١٣٩
﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾	الاسراء	٨٢	١٣٩
﴿ فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ سُيِّئِ ﴾	الانعام	٣٨	١٤٠
﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾	الانعام	٥٩	١٤١
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾	القمر	١٧	١٤٢
﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ﴾	الحج	٣٩	١٤٣
﴿ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾	النساء	١٣٩	١٤٤
﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾	الذاريات	١٩	١٤٤
﴿ وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ ﴾	الحشر	٩	١٤٤
﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾	الحجرات	١٣	١٤٥
﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ ﴾	التوبة	١١١	١٤٦
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ ﴾	الحجرات	١٣	١٤٨
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾	النحل	٩٠	١٤٨
﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا ﴾	القصص	٨٣	١٤٨
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ ﴾	الحجرات	١١	١٤٨
﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ ﴾	الفرقان	٦٣	١٤٩
﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴾	فصلت	٣٤	١٤٩

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ﴾	البقرة	١٧٧	١٤٩
﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ﴾	التوبة	٦٠	١٥٠
﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴾	المعارج	٢٥-١٩	١٥٠
﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾	القصص	٧٧	١٥٠
﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	الكهف	٤٦	١٥١
﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعٌ ﴾	القصص	٦٠	١٥١
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	البقرة	١٦٤	١٥١
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	فاطر	٢٨-٢٧	١٥١
﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ ﴾	البقرة	١٣٦	١٥٢
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ﴾	الملك	١٥	١٥٢
﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى ﴾	المائدة	٨	١٥٨
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاً وُسْعَهَا ﴾	البقرة	٢٨٦	١٥٨
﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ - وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ﴾	البقرة	١٨٥	١٥٨
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾	البقرة	١٤٣	١٥٩
﴿ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾	المجادلة	٢٢	١٦٣
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾	النحل	٩٠	١٦٧
﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي ﴾	المؤمنون	٢-١	١٧٢

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾	المؤمنون	٤	١٧٢
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾	المؤمنون	٣	١٧٢
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْئُوتِهِمْ حَافِظُونَ﴾	المؤمنون	٥	١٧٢
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	المؤمنون	٨	١٧٢
﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾	المؤمنون	٩	١٧٢
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾	المؤمنون	١١٥	١٧٦
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا﴾	يس	٧٩	١٧٧
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ﴾	العنكبوت	١٩	١٧٧
﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	الرحمن	٢٧	١٧٧
﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾	المطففين	١٢	١٧٨
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ السَّيِّئِينَ﴾	الانفطار	١٧-١٩	١٧٩
﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾	التكوير	٣-١	١٧٩
﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾	الانفطار	٣-١	١٧٩-١٨٣
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾	المرسلات	٧-١٤	١٧٩-١٨٤
﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	الزلزلة	٧-٨	١٨٤
﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ﴾	الروم	٨	١٨٤
﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَتِهِ﴾	الانفال	٤٢	١٨٧

..... ١٩٦ الأيمان والعلم الحديث

الآية	السورة	رقم	الصفحة
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾	البقرة	٢٠١	١٨٧

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الدين والاسلام/ للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.
- ٢- الدين في طور الاجتماع/ لمحمد باقر الخميني.
- ٣- النافع ليوم الحشر في باب الحادي عشر.
- ٤- الرسول - حياة محمد ﷺ / د.د. ف بودلي.
- ٥- الله والروح/ لخليل عزمي.
- ٦- الرسالة/ مجلة مصرية.
- ٧- المختار/ مجلة مصرية.
- ٨- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي.
- ٩- دائرة المعارف/ لمحمد فريد وجدي.
- ١٠- مقدمة ابن خلدون.
- ١١- معاد يا آخرين سير بشر/ باللغة الفارسية.
- ١٢- مصابيح الأنوار في المبدأ والمعاد/ لنظام العلماء.
- ١٣- نهج البلاغة/ شرح الاستاذ محمد عبده.
- ١٤- شهر دانش- باللغة الفارسية- هادي نوري.

١٩٨ ..... الأيمان والعلم الحديث

١٥- تبصرة المتعلمين/ للعلامة الحلي.

١٦- تاريخ الفداء.

١٧- توحيد اهل التوحيد/ للعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني.

١٨- توضيح العقائد/ لعبد الرحمن الجزيري.

١٩- تفسير القرآن الكريم/ للبيضاوي.

٢٠- الاسلام دين الفطرة والحرية/ الشيخ عبد العزيز جاويش.

٢١- مجلات- لايف- الامريكية-.

٢٢- الهداية الاسلامية.

## الذوات المقتبس من كلماتهم وأرائهم

- ١- الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء.
- ٢- الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغي.
- ٣- الأستاذ احمد حسن الزيات.
- ٤- الاستاذ عمر الدسوقي.
- ٥- الاستاذ محمد أحمد الغمراوي.
- ٦- الاستاذ سيد قطب.
- ٧- الاستاذ قدري حافظ طوقان.
- ٨- الاستاذ محمد فريد وجدي بك.
- ٩- الاستاذ محمد محمد المدني.
- ١٠- الدكتور عبد الوهاب عزام.
- ١١- الاستاذ عبد الرحمن الجزيري.
- ١٢- الاستاذ هيكل.

..... ۲۰۰ الأیمان والعلم الحديث

۱۳- الاستاذ شيلنسجر.

۱۴- الاستاذ الدكتور مسمر.

۱۵- الاستاذ فوستير دو كولانتر.

۱۶- الاستاذ بارثلمي سانت هيلو.

۱۷- الاستاذ غوستاولوبون.

۱۸- الاستاذ كارليل.

۱۹- الاستاذ داور اور كوهرت.

۲۰- الاستاذ بلكريف.

۲۱- الاستاذ فمبيري.

۲۲- الاستاذ رولنص.

۲۳- الاستاذ ليرد.

۲۴- الاستاذ رولند.

۲۵- الاستاذ استنلي.

۲۶- الاستاذ الدرلي.

۲۷- الاستاذ اسحق تيلر.

۲۸- الاستاذ وليم ميور.

۲۹- الاستاذ وشنطن.

۳۰- الاستاذ جيون.



الذوات المقتبس من كلماتهم وآرائهم..... ٢٠١

٣١- الاستاذ ثبورت اسمت.

٣٢- الاستاذ شاتقليد.

٣٣- الاستاذ عبد الله وليم.

٣٤- الاستاذ كونس روجس.

٣٥- الاستاذ هرشل.

٣٦- الاستاذ كامل فلا مريون.

٣٧- الاستاذ ميلين أدوارد.

٣٨- الاستاذ سبنسر.

٣٩- الاستاذ فنوتل.

٤٠- الاستاذ العلامة لينية.

٤١- الاستاذ باكون.

٤٢- الاستاذ وليم طمسن.

٤٣- الاستاذ أون.

٤٤- الاستاذ دوسون.

٤٥- الاستاذ غراي.

٤٦- الاستاذ كربنتر.

٤٧- الاستاذ فلوتير.

٤٨- الاستاذ تشارلز داروين.

٤٩- الاستاذ لو كونت دي نوي.

٥٠- الاستاذ ملتون أورسلو.

٥١- الاستاذ روبرت مليكن.

٥٢- الاستاذ د. ف . بودلي.

٥٣- الاستاذ بروس بليفن.

٥٤- الاستاذ لويل توماس.

٥٥- الاستاذ د. التون تروبلد.

٥٦- الاستاذ لوك.

٥٧- الاستاذ برناردشو.

٥٨- الاستاذ فيخته.

٥٩- الاستاذ هيوم.

٦٠- الاستاذ ليسنج.

## فهرسة المحتويات

٥	مقدمة قسم الشؤون الفكرية والثقافية.....
٧	ما في الكتاب .....
١١	لا تنافي بين الدين والعلم .....
١٧	المقدمة للطبعة الأولى .....
٢٣	المقدمة للطبعة الثانية.....
٣١	الدين .....
٣٧	الدين وأهداف الحياة.....
٤٣	الدين والعلم في القرن الأخير.....
٥٣	موقف الدين من المدنية .....
٦١	المثل الأعلى للأديان.....
٧٩	الاسلام والتوحيد.....
٨٥	إثبات المعبود.....
١٠٥	بعثة الرسل.....
١١١	الرسول والنبى وحاجة الناس .....
١١٥	رسول الاسلام وخاتم النبيين.....
١٢٩	القرآن حجة الله البالغة .....
١٤١	الاسلام والانسانية.....

٢٠٤	..... الأيمان والعلم الحديث
١٥٣	..... من مزايا الشريعة الاسلامية ..
١٦٣	..... الاسلام والمبادئ الاخرى ..
١٧١	..... الحشر وعاقبة الحياة الدنيا ..
١٨٣	..... خاتمة ..
١٨٧	..... الفهارس الفنية ..
١٨٩	..... فهرس الايات ..
١٩٧	..... المصادر والمراجع ..
١٩٩	..... الذوات المقتبس من كلماتهم وآرائهم ..
٢٠٣	..... افهرسة المحتويات ..